تقريب وتهذيب
شرح العقيدة الواسطية
للشيخ العلامة
محمد بن صالح بن عثيمين

اختصره وهذبه ورتبه

عبدالله بن محسن الصاعدي

القاضي بالمحكمة العامة برابغ

١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالخلق والتدبير ،فتألهت له بالذل والمحبة قلوب الموحدين لكمال صفاته وحسن أسمائه .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له العالي في دنوه والقريب في علوه الذي استقر على عرشه وعلا وأحاطه بخلقه وهو فوق سمواته العلى، كملت صفاته فتعالى عن التمثيل ،وتقدس عن التنزيه والتعطيل {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ،أكمل العباد توحيدا ،وأصدقهم لربه وصفا وتمجيدا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا.

أما بعد :

فهذا مختصر لشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله – هذبته ورتبته ليسهل فهمه وحفظه وقد حذفت منه مباحث متعلقة بعلم الكلام ،وما ليس له صلة بمقصود متن العقيدة الواسطية ،وأضفت عليه من مؤلفات الشيخ وفتاويه ما أراه مكملا لمادته ومعينا لفهم مسائله ،كما أدرجت بعض الأحرف من عندي وهي نزر لا يذكر وجلها أدلة سمعية ونقول سلفية ، ووضعت في الحاشية بعضا من اختيارات الشيخ عبدالعزيز بن باز- رحمه الله- في المسائل المختلف فيها بين أهل السنة والجماعة.

وأسأل الله أن يرزقني والمسلمين علما نافعا وعملا متقبلا ويوفقنا لتحقيق التوحيد والدعوة إليه ،فإنه سبحانه مجيب لعبده إذا سأله، كريم إذا اعطى، حكيم إذا منع واسع فضله غزير جوده، فلا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه

فصل

في التوحيد وأقسامه

مبنى الإسلام على توحيد الله عز وجل قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} . ولا بد في التوحيد من الجمع بين النفي والإثبات؛ لأن النفي وحده تعطيل، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة فلا توحيد إلا بنفي وإثبات. فتنفي الألوهية عما سوى الله عز وجل وتثبت لله وحده

والتوحيد: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به

وأنواعه ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الألوهية.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وقد جمع الله هذه الأقسام في قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} .

أولا :توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير. قال تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} .

وقوله: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} . وقوله: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}

وهذ النوع قد أقر به المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال الله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} . {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} .

وقال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ} وقال تعالى: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} ، إلى قوله: {بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} .

و لم يكن أحد من هؤلاء المشركين ولا غيرهم ممن يقر بالخالق يعتقد أن أحدا من الخلق شارك الله تعالى في خلق السماوات والأرض، أو غيرهما، ولا أن للعالم صانعين متكافئين في الصفات والأفعال،

فلم يجحد أحد توحيد الربوبية، لا على سبيل التعطيل ولا على سبيل التشريك، إلا ما حصل من فرعون؛ فإنه أنكره على سبيل التعطيل مكابرة؛ فإنه عطل الله من ربوبيته وأنكر وجوده، قال تعالى حكاية عنه: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} ، {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}. وهذا مكابرة منه لأنه يعلم أن الرب غيره؛ كما قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} ، وقال تعالى حكاية عن موسى وهو يناظره: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ؛ فهو في نفسه مقر بأن الرب هو الله عز وجل.

ولا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية وعبادة الله وحده.

ثانيا :توحيد الألوهية

وهو: إفراد الله تعالى بالعبادة بأن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره من ملك، أو رسول، أو نبي، أو ولي، أو شجر، أو حجر، أو شمس، أو قمر، أو غير ذلك كائنا من كان.

قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} .وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} . وقال: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} . وقال: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} .

وهذا النوع قد أنكره المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال الله تعالى عنهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} .

وقال تعالى: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} .

ومن أجل إنكارهم إياه قاتلهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستباح دماءهم وأموالهم، وسبى نساءهم وذرياتهم بإذن الله تعالى وأمره، و لم يكن إقرارهم بتوحيد الربوبية مخرجا لهم عن الشرك، ولا عاصما لدمائهم وأموالهم.

وهذا النوع من التوحيد هو الذي من أجله خلق الجن والإنس لقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} .

ومن أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} . وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} . وقد قام الرسل عليهم الصلاة والسلام بذلك يدعون قومهم {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} أي ما لكم من معبود حق غير الله، فجميع الآلهة سواه باطلة

وتحقيق هذا النوع أن يعبد الله وحده لا شريك له بشرعه الذي جاءت به رسله كما قال الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} . فمن لم يعبد الله تعالى فهو مستكبر غير موحد، ومن عبده وعبد غيره فهو مشرك غير موحد، ومن عبده بما لم يشرعه فهو مبتدع ناقص التوحيد حيث جعل لله تعالى شريكا في التشريع.

والعبادة تطلق على معنيين:

أحدهما: التعبد وهو فعل العابد فتكون بمعنى التذلل للمعبود حبا وتعظيما

والحب والتعظيم أساس العبادة :فبالحب يكون طلب الوصول إلى مرضاة المعبود بفعل ما أمر به، وبالتعظيم يكون الهرب من أسباب غضبه بترك ما نهى عنه.

الثاني: المتعبد به فتكون اسما جامعا لكل ما يتعبد به لله تعالى كالطهارة، والصلاة، والصدقة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وغير ذلك من أنواع العبادة.

وللعبادة شرطان:

أحدهما: الإخلاص لله عز وجل بأن لا يريد بها سوى وجه الله والوصول إلى دار كرامته، وهذا من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

الثاني: المتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأن لا يتعبد لله تعالى بغير ما شرعه، وهذا من تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله.

فالمشرك في العبادة لا تقبل عبادته، ولا تصح لفقد الشرط الأول.

والمبتدع فيها لا تقبل، ولا تصح لفقد الشرط الثاني.

وقد دل على هذين الشرطين كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن أدلة اشتراط الإخلاص من كتاب الله قوله تعالى: {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} . وقوله: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} . وقوله: {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} .

ومن أدلته من السنة ما أخرجه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يا أيها الناس إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن هاجر إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» . هذا أحد ألفاظ البخاري.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» .

ومن أدلة اشتراط المتابعة لرسول الله من كتاب الله تعالى قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} . وقوله: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} . وقوله في وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

ومن أدلته من السنة ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» أي مردود. وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول إذا خطب الناس يوم الجمعة: " أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» . وصح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» رواه أحمد وأبو داود.

ولا تتحقق المتابعة إلا بموافقة العبادة للشرع في سببها، وجنسها، وقدرها، وكيفيتها، وزمانها، ومكانها.

ثالثا: توحيد الأسماء والصفات:

وهو إفراد الله تعالى بأسمائه وصفاته وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه، أو على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

فلا يجوز نفي شيء مما سمى الله به نفسه، أو وصف به نفسه؛ لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} . ولأن ذلك تعطيل يستلزم تحريف النصوص أو تكذيبها مع وصف الله تعالى بالنقائص والعيوب.

ولا يجوز تسمية الله تعالى، أو وصفه بما لم يأت في الكتاب والسنة؛ لأن ذلك قول على الله تعالى بلا علم وقد قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} . وقال: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} .

ولا يجوز إثبات اسم أو صفة لله تعالى مع التمثيل لقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} . وقوله: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} . ولأن ذلك إشراك بالله تعالى يستلزم تحريف النصوص، أو تكذيبها مع تنقص الله تعالى بتمثيله بالمخلوق الناقص.

ولا يجوز إثبات اسم، أو صفة لله تعالى مع التكييف لأن ذلك قول على الله تعالى بلا علم، يستلزم الفوضى، والتخبط في صفات الله تعالى، إذ كل واحد يتخيل كيفية معينة غير ما تخيله الآخر؛ ولأن ذلك محاولة لإدراك ما لا يمكن إدراكه بالعقول، فإنك مهما قدرت من كيفية فالله أعلى وأعظم.

وهذا النوع من التوحيد هو الذي كثر فيه الخوض بين أهل القبلة

فانقسموا في النصوص الواردة فيه إلى أربعة أقسام:

الأول: من أجروها على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهؤلاء هم السلف وهذا هو الصواب المقطوع به لدلالة الكتاب، والسنة، والعقل، والإجماع السابق عليه دلالة قطعية أو ظنية.

الثاني: من أجروها على ظاهرها، لكن جعلوها من جنس صفات المخلوقين.

وهؤلاء هم الممثلة، ومذهبهم باطل بالكتاب، والسنة والعقل، وإنكار السلف.

الثالث: من أجروها على خلاف ظاهرها، وعينوا لها معاني بعقولهم، وحرفوا من أجلها النصوص.

وهؤلاء هم أهل التعطيل فمنهم من عطل تعطيلا كبيرا كالجهمية والمعتزلة ونحوهم، ومنهم من عطل دون ذلك كالأشاعرة.

الرابع: من قالوا: الله أعلم بما أراد بها، فوضوا علم معانيها إلى الله وحده.

وهؤلاء هم أهل التجهيل المفوضة، وهولاء هم شر الطوائف

وهذه الأقسام سوى الأول باطلة

فصل

قواعد هامة في الأسماء والصفات

القاعدة الأولى:

"في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته":

الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير، لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي صلى الله عليه وسلم ، يتكلم باللسان العربي، فوجب إبقاء دلالة كلام الله، وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم، وهوحرام لقوله تعالى:

قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾

مثال ذلك قوله تعالى:

﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾.

فإن ظاهر الآية أن الله يدين حقيقيتين، فيجب إثبات ذلك له.

فإذا قال قائل: المراد بهما القوة.

قلنا له: هذا صرف للكلام عن ظاهره، فلا يجوز القول به، لأنه قول على الله بلا علم.

القاعدة الثانية:

في أسماء الله. وتحت هذه القاعدة فروع:

الأول: أسماء الله كلها حسنى:

أي بالغة في الحسن غايته، لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾

الثاني: أسماء الله غير محصورة بعدد معين:

لقوله، صلى الله عليه وسلم ، في الحديث المشهور:"أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك".وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به.

والجمع بين هذا، وبين قوله في الحديث الصحيح:

"إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة".

أن معنى هذا الحديث: أن من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة. وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة. فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة.

الثالث: أسماء الله لا تثبت بالعقل، وإنما تثبت بالشرع:

فهي توقيفية، يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على الشرع، ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك.

الرابع: كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله، وعلى الصفة التي تضمنها، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعدياً:

ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله.

مثال ذلك في الاسم غير المتعدي: "العظيم" فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة.

ومثال ذلك في الاسم المتعدي: "الرحمن" فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء.

القاعدة الثالثة:

"في صفات الله" وتحتها فروع أيضاً:

الأول: صفات الله كلها عليا، صفات كمال ومدح، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه

:كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحكمة، والرحمة، والعلو، وغير ذلك لقوله تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾

ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل، والعجز، والصمم، والعمى، ونحو ذلك لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص، ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص، ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصاً لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه، ونقصاً من وجه لم تكن ثابتة لله، ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق بل لابد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها، لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصاً في غير هذه الحال فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية قال الله تعالى:

﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

﴿إنهم يكيدون كيداً. وأكيد كيداً﴾.

﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾.

إلى غير ذلك.

فإذا قيل: هل يوصف الله بالمكر مثلاً؟

فلا تقل: نعم، ولا تقل :لا، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك والله أعلم.

الثاني: صفات الله تنقسم إلى قسمين:

١-ثبوتية

٢- وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة، والعلم، والقدرة، ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به، لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

والسلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم، فيجب نفيها عن الله لأن الله نفاها عن نفسه لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل، لأن النفي لا يكون كمالاً حتى يتضمن ثبوتاً.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾.

فيجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل.

الثالث: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين:

١- ذاتية.

٢-وفعلية.

فالصفات الذاتية :هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها

وهي نوعان:

صفات معنوية، مثل: الحياة، والعلم، القدرة، والحكمة

صفات خبرية، مثل: السمع والبصر واليدين، والوجه، والعينين... وما أشبه ذلك مما لاتثبت إلا بخبر يخصها .

وسميت بالصفات الذاتية،: لأنها ملازمة لله عز وجل، لا تنفك عنها.

والصفات الفعلية: هي الصفات المتعلقة بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها

وهي نوعان:

صفات لها سبب معلوم، مثل: الرضى، فالله عز وجل إذا وجد سبب الرضى، رضي،

صفات ليس لها سبب معلوم، مثل: النزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر.

ومن الصفات ما هو صفة ذاتية وفعلية باعتبارين، فالكلام صفة فعلية باعتبار آحاده لكن باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً لكنه يتكلم بما شاء متى شاء،

وسميت بالصفات الفعلية، لأنها من فعله سبحانه وتعالى.

الرابع: كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل هي حقيقية؟ ولماذا؟

والجواب: : نعم حقيقية، لأن الأصل في الكلام الحقيقة فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها.

السؤال الثاني: هل يجوز تكييفها؟ ولماذا؟

والجواب: وجواب الثاني: لا يجوز تكييفها لقوله تعالى:﴿ولا يحيطون به علماً﴾

ولأن العقل لا يمكنه إدراك كيفية صفات الله.

السؤال الثالث: هل تماثل صفات المخلوقين؟ ولماذا؟

والجواب: لا تماثل صفات المخلوقين لقوله تعالى:﴿ليس كمثله شيء﴾.

ولأن الله مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص.

والفرق بين التمثيل والتكييف أن:

التمثيل: ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل.

والتكييف: ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل.

مثال التمثيل: أن يقول القائل: يد الله كيد الإنسان.

ومثال التكييف : أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين فلا يجوز هذا التخيل.

الرابعة: "فيما نرد به على المعطلة"

المعطلة هم الذين ينكرون شيئاً من أسماء الله، أو صفاته، ويحرفون النصوص عن ظاهرها، ويقال لهم: "المؤولة".

والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول: إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح،

(بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في النصوص الواردة في الأسماء والصفات)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا .

وأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا .

أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ :

وَهُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ .

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ .

لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ .

وَلاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ . ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ؛ بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ .

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ | وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلاَمَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ .

فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ.

هذه الجملة في بيان عقيدة الفرقة الناجية في التعامل مع أسماء الله وصفاته التي جاءت في الكتاب والسنة

قوله (فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة :)

قوله **"اعتقاد"**: افتعال من العقد وهو الربط والشد وهو حكم الذهن الجازم، فإن طابق الواقع، فصحيح، وإن خالف الواقع، ففاسد، فاعتقادنا أن الله إله واحد صحيح، واعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة باطل، لأنه مخالف للواقع.

قوله"الفرقة" الطائفة والجماعة

قوله **"الناجية"**: ناجية في الدنيا من البدع وسالمة منها وناجية في الآخرة من النار.

ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة" قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي" رواه أبو داود والترمذي ،فمن كان على مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، فهو ناج من البدع في الدنيا.و من النار في الآخرة.

قوله **"المنصورة"** بتأيد الله لها لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» . رواه أبو داود

والظهور الانتصار، لقوله تعالى: (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ)

قوله **"إلى قيام الساعة"**، أي:منصورة إلى قرب يوم القيامة، حين يرسل الله ريحا فتقبض روح كل مؤمن والساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق

قوله "**أهل السنة والجماعة**": إضافتهم إلى السنة، لأنهم متمسكون بها، والجماعة، لأنهم مجتمعون عليها. ولا يدخل فيهم من خالفهم في طريقتهم، في إجراء صفات الله سبحانه وتعالى على حقيقتها، وخالف ماكان عليه النبي وأصحابه في الاعتقاد

قوله (وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .)

أي :اعتقاد الفرقة الناجية(**الإيمان بالله**) والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

٢- الإيمان بانفراده بربوبيته

٣- الإيمان بانفراده بالألوهية.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته.

ولا يمكن أن يتحقق الإيمان بالله إلا بتحيق هذه الأمور

قوله (**وملائكته**)

الملائكة عالم غيبي، خلقهم الله عز وجل من نور، وجعلهم طائعين له متذللين له، مكلفون بما كلفهم الله به من العبادات وهم خاضعون لله عز وجل أتم الخضوع، (لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون)

ومن الملائكة من علمنا الله بأسمائهم و بوظائفهم فوجب الإيمان بهم

ومنهم :

جبريل: وهو الموكل بالوحي، ينزل به من الله تعالى إلى الرسل.

و إسرافيل: وهو الموكل بالنفخ الصور وهو أيضا أحد حملة العرش .

و ميكائيل: وهو الموكل بالقطر والنبات.

وهؤلاء الثلاثة كلهم موكلون بما فيه حياة، فجبريل موكل بالوحي وفيه حياة القلوب، وميكائيل بالقطر والنبات وفيه حياة الأرض، وإسرافيل بنفخ الصور وفيه حياة الأجساد يوم المعاد.

ومنهم من وكل بقبض أرواح بني آدم، أو بقبض روح كل ذي روح وهم: ملك الموت وأعوانه ولا يسمى عزرائيل، لعدم ورود ذلك في الكتاب والسنة

مسألة :قال تعالى:(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ) فظاهرها أن من يقبض أكثر من من ملك

وقال تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) وظاهرها أن من يقبض الروح هو ملك الموت فقط

وقال تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) وظاهرها أن الله هو الذي يتوفى الانفس

ولا منافاة بين هذه الآيات الثلاث، فقوله سبحانه (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا)فهم موكلون بقبض الروح من ملك الموت إذا قبضها، وملك الموت هو الذي يباشر قبضها، والذي يأمر بذلك هو الله، فيكون في الحقيقة الله هو المتوفي

ومن الملائكة ملائكة سياحون في الأرض، يلتمسون حلق الذكر، إذا وجدوا حلقة العلم والذكر، جلسوا منهم ملائكة يكتبون أعمال الإنسان: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِين * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) وقوله تعالى(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)

ومنهم ملائكة يتعاقبون على بني آدم في الليل والنهار، (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)

ومنهم ملائكة ركَّع وسجَّد لله في السماء، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "أطت السماء، وحق لها أن تئط" ما من موضع أربع أصابع منها، إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد" رواه أبوداود

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في البيت المعمور الذي مر به في ليلة المعراج، : "يطوف به (أو قال: يدخله) سبعون ألف ملك كل يوم، ثم لا يعودون إلى آخر ما عليهم" متفق عليه

أي: كل يوم يأتي إليه سبعون ألف ملك غير الذين أتوه بالأمس، ولا يعودون له أبداً، يأتي ملائكة آخرون غير من سبق، وهذا يدل على كثرة الملائكة، ولهذا قال الله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)

ومنهم ملائكة موكلون بالجنة وموكلون بالنار، فخازن النار اسمه مالك يقول أهل النار: (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) وقيل: أن خازن الجنة اسمه رضوان لكن اسمه ليس ثابتًا ثبوتًا واضحًا كثبوت مالك لكنه مشهور عند أهل العلم بهذا الاسم

قوله (**وكتبه**) أي كتب الله التي أنزلها مع الرسل.

قال الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) وهذا يدل على أن كل رسول معه كتاب، فنؤمن بها إجمالا وبما سمي لنا منها كصحف إبراهيم ، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن

قوله (**ورسله**) رسل الله هم الذين أوحى الله إليهم بالشرائع وأمرهم بتبليغها، وأولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .

والدليل على أن أولهم نوح: قوله تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِه) وقوله: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَاب) فقوله :(فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّة) ، أي ذرية نوح وإبراهيم، والذي قبل نوح لا يكون من ذريته.

ولما ثبت في حديث الشفاعة: "أن أهل الموقف يقولون لنوح: أنت أول رسول أسله الله إلى أهل الأرض" أما آدم عليه الصلاة والسلام، فهو نبي، وليس برسول.

وأما إدريس، فذهب كثير من المؤرخين أو أكثرهم وبعض المفسرين إلى أنه أول الرسل لأنه قبل نوح، وأنه من أجداده لكن هذا قول ضعيف جداً والقرآن والسنة ترده والصواب أن أولهم نوح

وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام، لقوله تعالى: (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين)

قوله (والبعث بعد الموت)

من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بالبعث بعد الموت

والبعث إخراج الناس من قبورهم بعد موتهم.

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، بل إجماع اليهود والنصارى، حيث يقرون بأن هناك يوماً يبعث الناس فيه ويجازون:

أما القرآن، فقوله الله عز وجل: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ) وقال عز وجل: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُون * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ)

وأما في السنة، فجاءت الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

وأجمع المسلمون على هذا إجماعاً قطعياً، وأن الناس سيبعثون يوم القيامة ويلاقون ربهم ويجازون بأعمالهم، قال تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) وقال (يَا أَيُّهَا الْأِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ)

قوله (**والإيمان بالقدر خيره وشره**)القدر هو: "تقدير الله عز وجل للأشياء".

وقد كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما صح بذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم

و وصف القدر بالشر، المراد به شر المقدور لا شر القدر الذي هو فعل الله، فإن فعل الله عز وجل ليس فيه شر، فكل أفعاله خير وحكمة، ولكن الشر في مفعولاته ومقدوراته، فالشر هنا باعتبار المقدور والمفعول، أما باعتبار الفعل، فلا، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: "والشر ليس إليك"

والشر الذي في المقدور ليس شراً محضاً بل هذا الشر قد ينتج عنه أمور هي خير، فتكون الشرية بالنسبة إليه أمراً إضافياً.

فمثلاً، نحن نجد في المخلوقات المقدورات شراً، ففيها الحيات والعقارب والسباع والأمراض والفقر والجدب وما أشبه ذلك، وكل هذه بالنسبة للإنسان شر، لأنها لا تلائمه، وفيها أيضاً المعاصي والفجور والكفر والفسوق والقتل وغير ذلك، وكل هذه شر، لكن باعتبار نسبتها إلي الله هي خير، لأن الله عز وجل لم يقدرها إلا لحكمة بالغة عظيمة، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.

وهذا المفعول المقدر الذي هو شر قد يكون شراً في نفسه، لكنه خير من جهة أخرى، قال الله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) فنتيجته رجوع الناس لربهم فهذا خير

والمرض للإنسان شر بالنسبة له، لكن فيه خير له وخيره تكفير ذنوبه،

وسوف يتكلم المؤلف رحمه الله على القدر بكلام موسع ويبين درجاته عند أهل السنة.في آخر هذه الرسالة

قوله (وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم)

قوله: **"بما وصف به نفسه"** ينبغي أن يقال: وسمى به نفسه

لكنه اقتصر على ذكر الصفة و لم يذكر الاسم لأحد أمرين: إما لأن كل اسم يتضمن صفة، وإما لأن الخلاف في الأسماء قليل بالنسبة للمنتسبين للإسلام.

وفي هذه الجملة قواعد:

الأولى: أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه:

لأن الإيمان بالله ـــ يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته، فإن ذات الله تسمى بأسماء وتوصف بأوصاف، ووجود ذات مجردة عن الأوصاف أمر مستحيل، فلا يمكن أن توجد ذات مجردة عن الأوصاف أبداً،

الثانية: أن صفات الله عز وجل من الأمور الغيبية ، فلا يوصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه

والواجب على العبد نحو الأمور الغيبية: أن يؤمن بها على ما جاءت دون أن يرجع إلى شيء سوى النصوص.

قال الإمام أحمد: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث".

فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال الله عز وجل: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) فمن وصف الله بصفة لم يصف الله بها نفسه، فقد قال عليه مالا يعلم وهذا محرم بنص القرآن.

وقال تعالى: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) ، ومن وصف الله بما لم يصف به نفسه، فقد قفا ما ليس له به علم، و وقع فيما نهى الله عنه.

الثالثة: وجوب إجراء النصوص الواردة في الكتاب والسنة على ظاهرها

فقوله تعالى (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) فيجب إجراء الآية على ظاهرها والايمان بأن لله يدا حقيقة الله أعلم بكيفيتها

الرابعة: يجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه من الصفات الذاتية المعنوية والخبرية والصفات الفعلية،وتقدم الكلام عليها بالقواعد المهمة

الخامسة: الأسماء والصفات توقيفية والعقل لا مدخل له في باب الأسماء والصفات:

لأن مدار إثبات الأسماء والصفات أو نفيها موقوف على ماسمعناه من نصوص الكتاب والسنة

مسألة: ليس كل ما هو كمال في الإنسان يكون كمالاً في حق الله، وليس كل ما هو نقص في الإنسان يكون نقصاً في حق الله ،لأن المقياس في الكمال والنقص ليس باعتبار ما يضاف للإنسان، لظهور الفرق بين الخالق والمخلوق، لكن باعتبار الصفة من حيث هي صفة، فكل صفة كمال، فهي ثابته لله سبحانه وتعالى.

فالأكل والشرب :

بالنسبة للخالق نقص، لأن سببهما الحاجة، والله تعالى غني عما سواه

وبالنسبة للمخلوق كمال ولهذا، إذا كان الإنسان لا يأكل، فلا بد أن يكون عليلاً بمرض أو نحوه هذا نقص.

والتكبر كمال للخالق ونقص للمخلوق، لأنه لا يتم الجلال والعظمة إلا بالتكبر حتى تكون السيطرة كاملة ولا أحد ينازعه.. ولهذا توعد الله تعالى من ينازعه الكبرياء والعظمة، قال: "من نازعني واحداً منهما عذبته"

قوله: **"وبما وصفه به رسوله"** أي : من الإيمان بالله الإيمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: إما بالقول، أو بالفعل، أو بالإقرار.

القول ، مثل "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك. أمرك في السماء والأرض" رواه أبوداود
"وقوله في يمينه: "لا ومقلب القلوب" رواه البخاري
ب- الفعل، ، مثل إشارته إلى السماء يستشهد الله على إقرار أمته بالبلاغ، وهذا في حجة الوداع في عرفة، خطب الناس، وقال: "ألا هل بلغت؟" قالوا: نعم ثلاث مرات. قال "اللهم! أشهد" يرفع إصبعه إلى السماء، وينكتها إلى الناس "رواه مسلم ، فرفع إصبعه إلى السماء، فيه وصف لله تعالى بالعلو عن طريق الفعل.
جـــ- الإقرار، ، مثل: إقراره الجارية التي سألها: "أين الله؟" قالت: في السماء. فأقرها وقال: "أعتقها" رواه مسلم
وكإقراره الحبر من اليهود الذي جاء وقال للرسول عليه الصلاة والسلام: إننا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع والثرى على إصبع.. آخر الحديث، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تصديقاً لقوله"متفق عليه ،وهذا إقرار منه صلى الله عليه وسلم.

ودليل وجوب الإيمان بما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْل) ففي الآية دليل على وجوب قبول ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من صفات الله من وجهين :
الأول: لأن كل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فهو تبليغ من الله
الثاني :لأن الرسول عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بالله وأنصح الناس لعباد الله وأصدق الناس فيما قال، وأفصح الناس في التعبير، فاجتمع في حقه من صفات القبول أربع: العلم والنصح، والصدق، والبيان، فوجب قبول كل ما أخبر به عن ربه

قوله (من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل)

في هذه الجملة بيان صفة إيمان أهل السنة بصفات الله تعالى، وأنها خالياً من أمور أربعة: التحريف والتعطيل، والتكييف، والتمثيل.

أولا :التحريف: لغة: التغيير

وفي الاصطلاح: تغيير النص لفظا، أو معنى.

وهو على ثلاثة أقسام:

١ – **تحريف لفظي يتغير معه المعنى،** كتحريف بعضهم قوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} . إلى نصب الجلالة ليكون التكليم من موسى.

٢ – **تحريف لفظي لا يتغير معه المعنى،** كفتح الدال من قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل إذ ليس فيه غرض مقصود لفعله غالبا.

٣ – **تحريف معنوي** وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل، كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

وهذا القسم يسميه القائلون به تأويلاً ويسمون أنفسهم بأهل التأويل، لأجل أن يصبغوا هذا الكلام صبغة القبول، لأن التأويل لا تنفر منه النفوس ولا تكرهه.

لكن ما ذهبوا إليه في الحقيقة تحريف، لأنه ليس عليه دليل صحيح، إلا أنهم لا يستطيعون أن يقولوا: تحريفاً! ولو قالوا: هذا تحريف، لأعلنوا على أنفسهم برفض كلامهم.

ولهذا عبر المؤلف رحمه الله بالتحريف دون التأويل مع أن كثيراً ممن يتكلمون في هذا الباب يعبرون بنفي التأويل، يقولون: من غير تأويل.

وما عبر به المؤلف أولى لوجوه أربعة:

الوجه الأول: أنه اللفظ الذي جاء به القرآن، فإن الله تعالى قال: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) والتعبير الذي عبر به القرآن أولى من غيره، لأنه أدل على المعنى.

الوجه الثاني: أنه أدل على الحال، وأقرب إلى العدل، فالمؤول بغير دليل ليس من العدل أن تسميه مؤولاً، بل العدل أن نصفه بما يستحق وهو أن يكون محرفاً.

الوجه الثالث: أن التأويل بغير دليل باطل، يجب البعد عنه والتنفير منه، واستعمال التحريف فيه أبلغ تنفيراً من التأويل

الوجه الرابع: أن التأويل ليس مذموماً كله، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل" متفق عليه

وقال الله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) ، فامتدحهم بأنهم يعلمون التأويل.

مسألة :معاني التأويل .

التأويل ليس كله مذموما ، لأن التأويل له معان متعددة وهي :

الأول : التأويل بمعنى التفسير، كقول من فسر القران : تأويل قوله تعالى كذا وكذا. وسمي التفسير تأويلاً، لأن الكلام تأول ، أي: جعل يؤول إلى معناه المراد به.

الثاني: تأويل بمعنى: عاقبة الشيء :وهو على نوعين :

(أ): إن ورد في خبر، فتأويله وقوعه مثل قوله تعالى(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) ، أي ما ينتظر هؤلاء إلا وقوعه

(ب) :إن ورد في طلب، فتأويله فعله إن كان أمراً ،وتركه إن كان نهياً،

ومثاله قول عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده بعد أن أنزل عليه قوله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) : "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"، يتأول القرآن. أي: يعمل به.

الثالث: التأويل: بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره .

وهذا النوع ينقسم إلى قسمين :

(أ): تأويل محمود وذلك إذا دل عليه دليل ،وهو التفسير

مثاله : قوله تعالى(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوه) فمعنى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ)، أي سيأتي أمر الله، فهذا مخالف لظاهر اللفظ لكن عليه دليل وهو قوله: (فَلا تَسْتَعْجِلُوه).

وكقوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ، أي: إذا أردت أن تقرأ، وليس المعنى: إذا أكملت القراءة، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأننه علم من السنة أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا أرد أن يقرأ، استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، لا إذا أكمل القراءة، فالتأويل صحيح.

(ب) : تأويل مذموم : وهو مالم يدل عليه دليل، ويكون من باب باب التحريف، وليس من باب التأويل.

وهو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله عز وجل

مثاله قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى): ظاهر اللفظ أن الله تعالى استوى على العرش: استقر عليه، وعلا عليه، فإذا قال قائل: معنى (اسْتَوَى): استولى على العرش، فقوله تحريف ، لأنه لم يدل عليه دليل، بل الدليل على خلافه

ثانيا :التعطيل.

والتعطيل : التخلية والترك، كقوله تعالى: (وَبِئْرٍ مُعَطَّلَة)أي: مخلاة متروكة.

وهو: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كلياً أو جزئياً، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود، هذا كله يسمى تعطيلاً.

وأهل السنة والجماعة لا يعطلون أسماء الله، و صفاته ولا يجحدونها، بل يقرون بها إقراراً كاملاً.

مسألة :الفرق بين التعطيل والتحريف:

التحريف يكون في الدليل والتعطيل يكون في المدلول

فمثلاً: إذا قال قائل: معنى قوله تعالى (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان أي: بل قوتاه هذا محرف للدليل، ومعطل للمراد الصحيح، لأن المراد اليد الحقيقية، فقد عطل المعنى المراد، وأثبت معنى غير المراد.

وإذا قال: بل يداه مبسوطتان، لا أدري! أفوض الأمر إلى الله، لا أثبت اليد الحقيقية، ولا اليد المحرف إليها اللفظ. فهذا معطل، وليس بمحرف، لأنه لم يغير معنى اللفظ، و لم يفسره بغير مراده، لكن عطل معناه الذي يراد به، وهو إثبات اليد لله عز وجل.

وأهل السنة والجماعة يتبرءون من الطريقتين:

الطريقة الأولى: التي هي تحريف اللفظ بتعطيل معناه الحقيقي المراد إلى معنى غير مراد.

والطريقة الثانية: وهي طريقة أهل التفويض

وأهل السنة لا يفوضون المعنى كما يقول المفوضة بل يقولون: نحن نقول: (بَلْ يَدَاهُ)،أي:يداه الحقيقيتان(مَبْسُوطَتَان) وهما غير القوة والنعمة.

ومن قال إن طريقة السلف هي تفويض المعنى ، فقد ضل ،لأن مذهب أهل السنة هو إثبات المعنى وتفويض الكيفية.

والقول بالتفويض ـــ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ من شر أقوال أهل البدع والإلحاد!

وصدق رحمه الله. لأن تفويض المعنى فيه تكذيب للقرآن وتجهيل للرسول صلى الله عليه وسلم فتكذيب للقرآن لأن الله يقول: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ) وأي بيان في كلمات لا يدرى ما معناها؟

وعليه فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدري عن معاني القرآن فيما يتعلق بالأسماء والصفات وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يدري، فغيره من باب أولى.

فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "ربنا الله الذي في السماء"وإذا سئل عن هذا؟ قال: لا أدري

وكذلك في قوله: "يترل ربنا إلى السماء الدنيا"وإذا سئل ما معنى "يترل ربنا"؟ قال: لا أدري

وهذا قدح بالرسول صلى الله عليه وسلم بل هو من أكبر القدح فالله أرسله ليبين للناس دينه وشرعه وهو لا يدري ما معنى آيات الصفات وأحاديثها وهو يتكلم بالكلام ولا يدري معنى ذلك كله – حاشاه صلى الله عليه وسلم –ونعوذ بالله من الأهواء المضلة

مسألة :مقولة : "طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم"!.

قال عنها شيخ الإسلام رحمه الله: "هذه قالها بعض الأغبياء"

وهي من أكذب ما يكون نطقاً ومدلولاً، كيف تكون أعلم وأحكم وتلك أسلم؟! لا يوجد سلامة بدون علم وحكمة أبداً! فالذي لا يدري عن الطريق، لا يسلم، لأنه ليس معه علم، لو كان معه علم وحكمة، لسلم، فلا سلامة إلا بعلم وحكمة.

إذا قلت: إن طريقة السلف أسلم، لزم أن تقول: هي أعلم وأحكم وإلا لكنت متناقصاً.

إذاً، فالعبارة الصحيحة: "طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم"

ثالثا : التكييف

والتكييف: هو ذكر كيفية الصفة

فأهل السنة والجماعة لا يكيفون صفات الله

ولفظة (التكييف) لم ترد في الكتاب والسنة، لكن ورد ما يدل على النهي عنها.

قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)

والشاهد في قوله ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾.

فمن قال : إن الله استوى على العرش، على هذه الكيفية ووصف كيفية معينة.

فقد قال على الله مالا يعلم! فمن الذي أخبره بأنه استوى على هذه الكيفية؟! ،وهو وقول على الله بغير علم.

لأن الله أخبرنا الله بأنه استوى و لم يخبرنا كيف استوى

ولهذا قال بعض السلف إذا قال لك الجهمي: إن الله يترل إلى السماء، فكيف يترل؟ فقل: إن الله أخبرنا أنه يترل، و لم يخبرنا كيف يترل.

مسألة :قول أهل السنة : "بدون تكييف": ليس معناه أنهم لا يعتقدون لها كيفية، بل لها كيفية لكن المنفى العلم بحقيقة الكيفية لأن استواء الله على العرش له كيفية، لكن لا تعلم

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كيف استوى؟ فأطرق رحمه الله برأسه حتى علاه العرق، ثم رفع رأسه وقال: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة "

فقوله (الاستواء غير مجهول) ، أي: من حيث المعنى معلوم معنى الاستواء .وهو العلو والاستقرار

وقوله (والكيف غير معقول)"لأن العقل لا يدرك الكيف، فإذا انتفى الدليل السمعي والعقلي عن الكيفية، وجب الكف عنها

وقوله "والإيمان به واجب"، أي الاستواء لأن الله أخبر به عنه نفسه، فوجب تصديقه

وقوله :"والسؤال عنه بدعة": أي السؤال عن كيفية الاستواء بدعة، لأن من هم أحرص منا على العلم وهم الصحابة ما سألوا عنها لما قال الله: (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْش).

وكلام الإمام مالك رحمه الله ميزان لجميع الصفات، فإن قيل لك مثلاً: إن الله يترل إلى السماء الدنيا، كيف يترل؟ فقل :الترول غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة

ومن سأل : كيف يمكن الترول وثلث الليل يتنقل؟! فسؤاله بدعة.

ومن تمام الإسلام والتسليم لله عز وجل عدم البحث في هذه الأمور، المتعلقة بأسماء الله وصفاته على سبيل التعنت والتنطع والواجب قول: سمعنا وأطعنا وآمنا وصدقنا

مسألة :قول بعض السلف في آيات الصفات وأحاديثها: "أمروها كما جاءت بلا كيف"

لا دلالة فيه على نفي العلم بالمعنى بل يدل على أنهم يثبتون لها معنى وذلك من وجهين:

الأول : أنهم قالوا: "أمروها كما جاءت" ومعلوم أنها ألفاظ جاءت لمعاني و لم تأت عبثاً، فإذا أمررناها كما جاءت، لزم من ذلك أن نثبت لها معنى.

الثاني : قولهم: "بلا كيف" لأن نفي الكيفية يدل على وجود أصل المعنى، لأن نفي الكيفية عن شيء لا يوجد لغو وعبث.

رابعا : التمثيل

والتمثيل: ذكر مماثل للشيء

وبينه وبين التكييف عموم وخصوص مطلق، لأن كل ممثل مكيف، وليس كل مكيف ممثلا،

لأن التكييف ذكر كيفية غير مقرونة بمماثل، مثل أن تقول: لي قلم كيفيته كذا وكذا. فإن قرنت بمماثل، وقلت : هذا القلم مثل هذا القلم صار تمثيلاً، ، لأنك ذكرت شيئاً مماثلا لشيء وعرفت هذا القلم بذكر مماثلة.

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله عز وجل الصفات بدون مماثلة، فهو سبحانه لا يماثل خلقه فيما وصف به نفسه لقوله تعال (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فالآية فيها نفي صريح للتمثيل

وقوله: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً) ، وهو استفهام بمعنى النفي أي :ليس له سمي

وقوله تعالى : (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادا) أي: نظراء مماثلين.

فمن مثل الله بخلقه، فقد كذب الخبر وعصى الأمر ولهذا أطلق بعض السلف القول بالتكفير لمن مثل الله بخلقه، فقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمه الله: "من شبه الله بخلقه، فقد كفر"

لأنه جمع بين التكذيب بالخبر في قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)وعصيان الطلب في قوله تعالى (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادا)

مسألة :قوله صلى الله عليه وسلم " إن الله خلق أدم على صورته" هل هي تمثيل ؟

ليس فيه تمثيل لوجهين :

الأول : : أنه لا يمكن أن يناقض هذا الحديث قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فإن يسر الله لك الجمع؛ فاجمع ، وإن لم يتيسر؛ فقل: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) وعقيدتنا أن الله لا مثيل له؛ وبهذا يسلم العبد ،فكلام الله ، و كلام رسوله، كله حق ، ولا يمكن أن يكذب بعضه بعضاً

الثاني : لا يلزم من كون الشيء على صورة الشيء أن يكون مماثلاً له من كل وجه.

فقوله صلى الله عليه وسلم :" إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر"فلا يعتقد أنهم يدخلون الجنة على صورة القمر من كل وجه لكن في الوضاءة والحسن والجمال واستدارة الوجه وما أشبه ذلك على صورة القمر، لا من كل وجه؟!

فالله عز وجل له وجه وله عين وله يد وله رجل ، لكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان؛ فهناك شيء من الشبه لكنه ليس على سبيل المماثلة؛ كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه من القمر لكن بدون مماثلة، وبهذا يصدق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة؛ من أن جميع صفات الله سبحانه وتعالى ليست مماثلة لصفات المخلوقين؛ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

مسألة : الأولى التعبير بلفظ التمثيل دون التشبيه وذلك لأمور :

أولاً: لأن القرآن عبر به:: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وكل ما عبر به القرآن؛ فهو أولى من غيره؛

ثانياً: أن التشبيه عند بعد الناس يعني إثبات الصفات ولهذا يسمون أهل السنة: مشبهة؛ فإذا قلنا: من غير تشبيه وهذا الرجل لا يفهم من التشبيه إلا إثبات الصفات؛ صار كاننا نقول له: من غير إثبات صفات! فصار معنى التشبيه يوهم معنى فاسداً فلهذا كان العدول عنه أولى.

ثالثاً: أن نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح؛ لأن ما من شيئين من الأعيان أو من الصفات إلا وبينهما أشتراك من بعض الوجوه، والاشتراك نوع تشابه ، فلو نفيت التشبيه مطلقاً؛ لكنت نفيت كل ما يشترك فيه الخالق والمخلوق في شيء ما.

مثل السمع؛ ففيه اشتراك؛ الإنسان له سمع ، والخالق له سمع ، لكن بينهما فرق، لكن أصل وجود السمع مشترك.

قوله (بل يؤمنون بأن الله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾)

أي: يقر أهل السنة والجماعة بذلك إقراراً وتصديقاً بأن الله ليس كمثله شيء؛ كما قال عن نفسه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فنفى سبحانه المماثلة، ثم أثبت السمع والبصر فنفى العيب، ثم أثبت الكمال؛.

قوله (فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه)

أي: لا ينفي أهل السنة والجماعة عن الله ما وصف به نفسه، لأنهم متبعون للنص نفياً وإثباتاً، فكل ما وصف الله به نفسه يثبتونه على حقيقته، فلا ينفون عن الله ما وصف الله به نفسه، سواء كان من الصفات الذاتية أو الفعلية

قوله (ولا يحرفون الكلم عن مواضعه)(الكلم): اسم جمع كلمة، ويراد به كلام الله وكلام رسوله.

فأهل السنة لا يحرفون كلام الله عن مدلولاته، فمثلاً قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان) يقولون: هي يد حقيقية ثابتة لله من غير تكييف ولا تمثيل. والمحرفون يقولون: قوته، أو نعمته

والتحريف من دأب اليهود، قال تعالى (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) ، فكل من حرف نصوص الكتاب والسنة، ففيه شبه من اليهود.

قوله (ولا يلحدون في أسماء الله وآياته)

أي: أن أهل السنة لا يميلون في أسماء الله، وآيات الله، عن مراد الله ورسوله

لقوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

وقوله تعالى :إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا)

والإلحاد: لغة: الميل

وفي الاصطلاح: الميل عما يجب اعتقاده، أو عمله وهو قسمان:

أحدهما: في أسماء الله.

الثاني: في آياته.

الإلحاد في اسماء الله :

فأما الإلحاد في أسمائه: فهوالعدول عن الحق الواجب فيها وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: أن يسمى الله بما لم يسم به نفسه، كما سماه الفلاسفة علة فاعلة، وسماه النصارى: أباً، وعيسى: الابن ،لأن أسماء الله عز وجل توقيفية، فلايسمى إلا بما ثبت به بالنص.

النوع الثاني: إنكار شيئ من أسمائه

لأن ما أثبته الله لنفسه، وجب إثباته له، فمن نفاها، كان إلحاداً وميلاً بها عما يجب فيها.

النوع الثالث: انكار ما دلت عليه الاسماء من الصفات، كقول المعطلة: إن الله سميع بلا سمع، وعليم بلا علم، وخالق بلا خلق، وقادر بلا قدرة ،لإنه من الإيمان بأسماء الله إثبات ما تضمنته من الصفات.

النوع الرابع : أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه، كما فعل المشبهة.

النوع الخامس: نقلها إلى المعبودات، مثل أن تسمية شيئاً معبوداً بالإله، أو شتقاق منها أسماء للمعبودات مثل: اللات من الإله، والعزى والعزيز، ومناة من المنان، لأن الواجب أن تجعل أسماء الله خاصة به، ولا تتعدى وتتجاوز فتشتق للمعبودات منها أسماء.

الإلحاد في آيات الله :

وأما الإلحاد في آياته: فيكون في :

١-الآيات الشرعية. وهي ما جاءت به الرسل من الأحكام، والأخبار.

ويكون الإلحاد فيها إما بتكذيبها أو تحريفها أو مخالفتها:

فتكذيبها: بأن يقال : ليست من عند الله، فيكذب بها أصلاً، أو يكذب بما جاء فيها من الخبر مع تصديقه بالأصل، فيقال مثلاً: قصة أصحاب الكهف ليست صحيحة، وقصة أصحاب الفيل ليست صحيحة والله لم يرسل عليهم طيراً أبابيل.

وأما التحريف، فهو تغيير لفظها، أو صرف معناها عما أراد الله بها ورسوله، مثل أن يقال: استوى على العرش، أي: استولى، أو: يترل إلى السماء الدنيا، أي: يترل أمره.

وأما مخالفتها: فبترك الأوامر أو فعل النواهي.

٢-الآيات الكونية. وهي ما خلقه الله ويخلقه في السموات والأرض.

والإلحاد فيها بنسبتها إلى غير الله استقلالاً أو مشاركة أو إعانة، فيقال: هذا من الولي الفلاني، أو: من النبي الفلاني، أو: شارك فيه النبي الفلاني أو الولي الفلاني، أو: أعان الله فيه.

قوله (ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لانه سبحانه لا سمي له ولا كف له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه)

قوله (**لا سمي له**) دليل ذلك قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً) والسمي: هو المسامي أي: المماثل.

قوله (ولا كف له) دليل ذلك قوله تعالى: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) و لا كفء له، أي:ليس له مثيل سبحانه وتعالى.

قوله (ولا ند له) دليل ذلك قوله تعالى: (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ، والند هو النظير

وهذا النفي المقصود منه كمال صفاته، لأنه لكمال صفاته لا أحد يماثله.

قوله (ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى) أي لا يشبه بخلقه ولا يمثل بهم، قال سبحانه : {فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ} فلا يقاس سبحانه بخلقه لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله، لظهور التباين العظيم بين الخالق وبين المخلوق.

قوله (فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه)

ذكر المصنف هذه الجملة تمهيداً وتوطئة لوجوب قبول ما دل عليه كلام الله تعالى من صفاته وغيرها، ، وذلك أنه يجب قبول ما دل عليه الخبر إذا اجتمعت فيه أوصاف أربعة:

الأول: أن يكون صادراً عن علم، وإليه الإشارة بقوله: "فإنه أعلم بنفسه وبغيره".

الثاني: الصدق، وأشار إليه بقوله: "وأصدق قيلاً". قال تعالى (تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً)

الثالث: البيان والفصاحة، وأشار إليه بقوله: "وأحسن حديثاً". قال تعالى (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً)

الرابع: سلامة القصد والإرادة، بأن يريد المخبر هداية من أخبرهم.قال تعالى(يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا)

وقال تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

فاجتمع في كلام الله الأوصاف الأربعة التي توجب قبول الخبر.

قوله (ثم رسله صادقون) فيما أخبروا **(مصدوقون)** فيما أوحي إليهم، ما كذبهم الذي أرسلهم ولا كذبهم الذي أرسل إليهم ،فيجب على أممهم تصديقهم **(بخلاف)** أهل الأهواء **(الذين يقولون عليه ما لا يعلمون)** فهم كاذبون أو ضالون، **(ولهذا)** أي: لأجل كمال كلامه وكلام رسله**(قال سبحانه وتعالى: "سبحان)** أي تنزه الله عن كل ما لا يليق به. **(ربك رب العزة)** أي صاحب العزة، والعزة صفة من صفات الله ، وأضيفت إليه سبحانه من باب إضافة الموصوف إلى الصفة

(عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه) في وصفه **(من النقص والعيب)**

قوله (وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات)

أي أن الله تعالى جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، وذلك لأن تمام الكمال لا يكون إلا بثبوت صفات الكمال وانتفاء ما يضادها من صفات النقص[1].

مسألة : طرق إثبات الصفات

صفات الله سبحانة توقفية :أي موقوف اثباتها على ورود النص بها

ولإثباتها طرق:

الأول: دلالة الأسماء عليها، لأن كل اسم من أسماء الله دال على ذاته وعلى الصفة التي اشتق منها.

ولهذا كانت الصفات أعم من الأسماء، لأن كل اسم متضمن لصفة، وليس كل صفة متضمنة لاسم.

الثاني: أن ينص على الصفة، مثل الوجه، واليدين، والعينين.. وما أشبه ذلك،

الثالث: أن تؤخذ من الفعل ، مثل: المتكلم، فأخذها من (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً).

قاعدة: النفي في صفات الله عز وجل لا يرد إلا على سبيل العموم أو على سبيل الخصوص لسبب، لأن صفات السلب لا تتضمن الكمال إلا إذا كانت متضمنة لإثبات ضدها، وإلا لم تكن مدحاً. فقوله (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب): متضمن كمال القوة والقدرة وقوله: (وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً): متضمن لكمال العدل وقوله: (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) متضمن لكمال العلم والإحاطة

مسألة : أسماء الله عز وجل كلها مثبتة،وليس فيها منفي

لكن أسماء الله تعالى المثبتة منها ما يدل على معنى إيجابي، ومنها ما يدل على معني سلبي

فالتي مدلولها إيجابي كثير ومنها الرحمن والرحيم والملك

والتي مدلولها سلبي: السلام.

والسلام،: السالم من كل عيب. إذاً، فمدلوله سلبي، بمعنى: ليس فيه نقص ولا عيب، وكذلك القدوس قريب من معنى السلام، لأن معناه المتره عن كل نقص وعيب.

قوله (فلاعدول لأهل السنة والجماعة) أي: لا ميل لهم ولا انحراف **(عما جاء به المرسلون)** لكمال اتباعهم لهم **(فإنه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)**

[1] - انظر الفرع الثاني في صفات الله في القواعد المهمة في أول الكتاب

(الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من القرآن الكريم)

قوله (وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث يقول ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾)

قوله: **"دخل في هذه الجملة"** يحتمل أنه يريد بها قوله: "وهو قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات"

ويحتمل أن يريد ما سبق من أن أهل السنة والجماعة يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله،

وكلا الاحتمالين وارد فإن ما سوف يورده من الآيات داخلة في ضمن ما سبق، من أن الله تعالى جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات وأن أهل السنة يؤمنون بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله

قوله (**تعدل ثلث القرآن**) لقول النبي عليه الصلاة والسلام : "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟". فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: "الله الواحد الصمد ثلث القرآن .متفق عليه

و تعدل ثلث القرآن في الجزاء لا في الأجزاء، إذا لا يلزم من المعادلة في الجزاء المعادلة في الأجزاء. ولهذا، لو قرأ سورة الإخلاص في الصلاة ثلاث مرات، لم تجزئه عن قراءة الفاتحة.

ووجه كونها تعدل ثلث القرآن: أن مباحث القرآن خبر عن الله وخبر عن المخلوقات، وأحكام وسورة الاخلاص متمحضة في الخبر عن الله

قوله (**أَحَدٌ**): أي: متوحد فيما يختص به في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا ثاني له ولا نظير له ولا ند له.

قوله (**اللَّهُ الصَّمَدُ**): الصمد : هو الكامل، في علمه و قدرته، و حكمته، و عزته، و سؤدده، وفي كل صفاته.

وقيل: الصمد : الذي لا جوف له، يعني لا أمعاء ولا بطن، هذا المعنى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما

وقيل: الصَّمَدُ :أي: المصمود إليه، الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، بمعنى: تميل إليه وتنتهي إليه وترفع إليه حوائجها،

وكل هذه المعاني كلها ثابتة، لعدم المنافاة فيما بينها.

فالصمد : هو الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، فهي صامدة إليه.

و في هذه السورة: صفات ثبوتية وصفات سلبية:

فالصفات الثبوتية: اسم ﴿الله﴾ يتضمن الألوهية، واسم (الأَحَد) يتضمن الأحدية (الصَّمَدُ) يتضمن الصمدية.

والصفات السلبية: ﴿)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ).فالنفي يتضمن من الإثبات كمال الأحدية والصمدية.

قوله (وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله حيث يقول: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي

ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة، لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح

هذه الآية تسمى آية الكرسي، لأن فيها ذكر الكرسي: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ وهي أعظم آية في كتاب الله.والدليل على ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أبي بن كعب، قال: "أي آية في كتاب الله أعظم؟" فقال له: (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) فضرب على صدره، وقال: "ليهنك العلم أبا المنذر" رواه مسلم

قوله (**الحي القيوم)**

الحي :أي: ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع صفات الكمال لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه.

الْقَيُّوم :هو القائم بنفسه، والقائم على غيره وقيامه بنفسه يستلزم استغناءه عن كل شيء

وهذان الاسمان هما الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وقد ذكرا في الكتاب العزيز في ثلاثة مواضع: هذا أحدها، والثاني في سورة آل عمران: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ والثالث سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾

والحي القيوم فيهما الكمال الذاتي والكمال السلطاني، فالذاتي الحي، والسلطاني في القيوم، لأنه يقوم على كل شيء ويقوم به كل شيء.

قوله (**لا تأخذه سنة ولا نوم**) السنة النعاس وهي مقدمة النوم والنوم من صفات النقص، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام" رواه مسلم

وهذه صفة من صفات النفي وتتضمن صفة ثبوتية وهو كمال الضد ، والكمال في قوله (لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ) كمال الحياة والقيومية

قوله (**كرسيه**) الكرسي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إنه موضع قدمي الله عز وجل" رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب "السنة"

وليس هو العرش، بل العرش أكبر من الكرسي وقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام: "أن السماوات والسبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة" رواه ابن أبي شيبه في "العرش"

قوله (**ولا يؤوده**) إي : لا يثقله ويكرثه حفظ السماوات والأرض.

وهذه من الصفات المنفية، والصفة الثبوتية التي يدل عليها النفي هي كمال القدرة والعلم والقوة والرحمة.

قوله (**العلي**) علو الله عز وجل قسمان:

١-علو الذات:أي أنه فوق كل شيء بذاته، ليس فوقه شيء ولا حذاءه شيء.

٢- علو الصفات :وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ يعني: أن صفاته كلها علياً، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه.

وهذه الآية تتضمن من أسماء الله خمسة وهي: الله، الحي، القيوم، العلي، العظيم.

وتتضمن من صفات الآتي:

الالوهية والحياة والقيومية والعلو

وانتفاء السنة والنوم في حقه، لكمال حياته وقيوميته.

و عموم ملكه، وانفراده به لقوله: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

و قوة السلطان وكماله، لقوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

و إثبات الإذن من قوله: ﴿إلا بإذنه﴾.

و عموم علم الله تعالى لقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾.

و أنه سبحانه وتعالى لا ينسى ما مضى، لقوله: ﴿وما خلفهم﴾ ولا يجهل ما يستقبل، لقوله ﴿ما بين أيديهم﴾.

و كمال عظمة الله، لعجز الخلق عن الإحاطة به.

وإثبات الكرسي، وهو موضع القدمين.

و إثبات والقوة والقدرة، لقوله: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾، لأن عظمة المخلوق تدل على قوة الخالق وقدرته ،كمال علمه ورحمته وحفظه، من قوله: ﴿ولا يئوده حفظهما﴾.

وقوله (سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

في هذه الآية إثبات أربعة أسماء لله، وهي الأول والآخر والظاهر والباطن.

وخمس صفات: الأولية، والآخرية، والظاهرية، والباطنية وعموم العلم،وفيها دلالة على إحاطة الله تعالى بكل شيء زمناً ومكاناً و مع علوه عز وجل، فهو باطن، فعلوه لا ينافي قربه عز وجل، فالباطن قريب من معنى القريب.

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأسماء كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيءٌ وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء" رواه مسلم

وهذه الأسماء متلازمة، فإذا قلت: الأول، فلابد أن تقول: الآخر، وإذا قلت: الظاهر، فقل: الباطن، لئلا تفوت صفة المقابلة الدالة على الإحاطة.

قوله (**وهو بكل شيء عليم**) إكمال لما سبق من الصفات الأربع، يعني: ومع ذلك، فهو بكل شيء عليم.

وثمرة الإيمان بأن الله بكل شيء عليم: كمال مراقبة الله عز وجل وخشيته، بحيث لا يفقده حيث أمره، ولا يراه حيث نهاه.

وقوله سبحانه: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾

في هذه الآية إثبات اسم : الحي، لله سبحانه و صفة: الحياة، وانتفاء الموت المتضمن لكمال الحياة التي لا يلحقها الفناء، ففيها صفتان واسم.

والحي اسم يتضمن جميع الصفات الكاملة في الحياة، ومن كمال حياته عز وجل أنه أهل أن يعتمد عليه.

وقوله (**وتوكل**) التوكل: مأخوذ من وكل الشيء إلى غيره، أي: فوضه إليه، فالتوكل على الغير، بمعنى: التفويض إليه.

والتوكل على الله: صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به سبحانه وتعالى، وفعل الأسباب الصحيحة.

وصدق الاعتماد: أن تعتمد على الله اعتماداً صادقاً، بحيث لا تسأل إلا الله، ولا تستعين إلا بالله، ولا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا الله، فهو الذي يجلب المنافع ويدفع المضار ‘ثقة بالله بل تردد مع فعل السبب الذي أذن به

ومن توكل على الله، ولكن لم يفعل السبب الذي أذن الله فيه، فهو غير صادق في الاعتماد على الله ، لإن عدم فعل الأسباب طعن في حكمة الله، وسفه في العقل ونقص في الدين،

مسألة : من توكل على غير الله لا يخلو من ثلاثة أقسام:

أولاً: أن يتوكل توكل اعتماد وتعبد، فهذا شرك أكبر، كأن يعتقد بأن هذا المتوكل عليه هو الذي يجلب له كل خير ويدفع عنه كل شر، فيفوض أمره إليه تفويضاً كاملاً في جلب المنافع ودفع المضار، مع اقتران ذلك بالخشية والرجاء، ولا فرق بين أن يكون المتوكل عليه حياً أو ميتاً، لأن هذا التفويض لا يصح إلا لله .

ثانياً: أن يتوكل على غير الله بشيء من الاعتماد لكن فيه إيمان بأنه سبب وأن الأمر إلى الله، كتوكل كثير من الناس على الملوك والأمراء في تحصيل معاشهم، فهذا نوع من الشرك الأصغر.

ثالثاً: أن يتوكل على شخص على أنه نائب عنه، وأن هذا المتوكل فوقه، كتوكل الإنسان على الوكيل في بيع وشراء ونحوهما مما تدخله النيابة، فهذا جائز، ولا ينافي التوكل على الله، وقد وكل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في البيع والشراء ونحوهما.

وقوله: ﴿وهو العليم الحكيم﴾

في هذه الآية إثبات أسم: العليم، والحكيم لله سبحانه وتعالى وصفة العلم والحكمة.

والعليم: هو الذي أحاط علمه بكل شيء

والحكيم : للحكيم معنيان :

الأول : بمعنى ذي الحكمة ، فلا يأمر بشيء ولا يخلق شيئا إلا لحكمة ، ولا ينهى عن شيء إلا لحكمة .

والثاني : بمعنى الحاكم الذي يحكم بما أراد ولا معقب لحكمه .

ومن ثمرات الإيمان بعلم الله وحكمته أنه يستلزم الطمأنينة التامة لما حكم به من أحكام كونية وشرعية، لصدور ذلك عن علم وحكمة، فيزول القلق النفسي عن العبد وينشرح صدره.

وقوله: ﴿وهو العليم الخبير﴾

وفي هذه الآية من أسماء الله تعالى: العليم، والخبير ومن صفاته: العلم، والخبرة.

والخبير: هو العليم ببواطن الأمور فيكون هذا وصفاً أخص بعد وصف أعم وهو العليم، فالله العليم بظواهر الأمور، والخبير ببواطن الأمور

ومن ثمرات الإيمان باسم العليم والخبير أنه يزيد العبد خوفاً من الله وخشيته، سراً وعلناً.

قوله ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ وقوله ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ .

في هذه الآيات في إثبات صفة العلم لله سبحانه وتعالى

الآية الأولى: قوله: { يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}

ففي الآية ذكر الله عز وجل عموم علمه في كل شيء بنوع من التفصيل،

ثم فصل تفصيلاً آخر:

في الآية الثانية: قوله: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }

﴿مفاتح الغيب﴾ خزائنه ،وقيل: ﴿مفاتح الغيب﴾، أي: مبادئه، لأن مفتح كل شيء يكون في أوله، فيكون على هذا: ﴿مفاتح الغيب﴾، أي: مبادئ الغيب، فإن هذه المذكورات مبادئ لما بعدها.

وهذه المفاتح لا يعلمها إلا الله عز وجل، فلا يعلمها ملك، ولا يعلمها رسول، حتى إن أشرف الرسل الملكي وهو جبريل ـــ سأل أشرف الرسل البشري ـــ وهو محمد عليه الصلاة والسلام ـــ قال: أخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" أي :كما أنه لا علم لك بها، فلا علم لي بها أيضاً.

فمن ادعى علم الساعة، فهو كاذب كافر، ومن صدقه، فهو أيضاً كافر، لأنه مكذب للقرآن.

وهذه المفاتح:

الأول علم الساعة: وهو مبدأ مفتاح الحياة الآخرة،

الثاني: تتزيل الغيث: وهو مبدأ مفتاح لحياة الأرض

الثالث: علم ما في الأرحام أي: أرحام الإناث، وهو مبدأ مفتاح لحياة الإنسان

فإن قيل: إنهم صاروا يعلمون الذكر من الأنثى في الرحم؟

فالجواب :إنهم لا يعلمون ذلك إلا بعد تكوين الجنين وظهور ذكورته أو أنوثته، وللجنين أحوال أخرى لا يعلمونها، فلا يعلمون متى يتزل، ولا يعلمون إذا نزل إلى متى يبقى حياً ولا يعلمون هل يكون شقياً أو سعيداً، ولا يعلمون هل يكون غنياً أم فقيراً.. إلى غير ذلك من أحواله المجهولة.

الرابع: علم ما في الغد: وهو ما بعد يومك

الخامس: علم مكان الموت وكذلك زمانه

وسميت مفاتح الغيب، لأن علم ما في الأرحام مفتاح للحياة الدنيا، ﴿مَاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ مفتاح للعمل المستقبل ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ مفتاح لحياة الآخرة، لأن الإنسان إذا مات، دخل عالم الآخرة، وسبق بيان علم الساعة وتتزيل الغيث، فتبين أن هذه المفاتح كلها مبادئ لكل ما وراءها، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

قوله (إلا في كتاب مبين): والمراد بالكتاب هنا: اللوح المحفوظ.

فكل هذه الأشياء معلومة عند الله سبحانه وتعالى ومكتوبة عنده في اللوح المحفوظ، لأن الله تعالى "لما خلق القلم، قال له: اكتب قال القلم: ماذا أكتب؟ قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة"

فكتب في تلك اللحظة ما هو كائن إلى يوم القيامة ثم جعل سبحانه في أيدي الملائكة كتباً تكتب ما يعمله الإنسان، لأن الذي في اللوح المحفوظ قد كتب فيه ما كان يريد الإنسان أن يفعل، والكتاب التي تكتبها الملائكة هي التي يجزى عليها الإنسان ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾

الآية الثالثة: قوله: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِه ﴾ فابتداء الحمل بعلم الله، وانتهاؤه وخروج الجنين بعلم الله عز وجل.

الآية الرابعة: قوله: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾

قوله (**قدير**) القدرة وصف يتمكن به الفاعل من الفعل بدون عجز، فهو على كل شيء قدير، يقدر على إيجاد المعدوم وعلى إعدام الموجود، فالسماوات والأرض كانت معدومة، فخلقها الله عز وجل وأوجدها على هذا النظام البديع وكل ذلك قد أحاط الله سبحانه به علماً.

وفي هذه الآيات من صفات الله تعالى: إثبات عموم علم الله على وجه التفصيل، وإثبات عموم قدرة الله تعالى.

ومن ثمرات الإيمان بالعلم والقدرة: قوة مراقبة الله والخوف منه.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

في هذه الآية إثبات اسمين من أسماء الله، هما: الرزاق، والمتين، وإثبات ثلاث صفات، وهي الرزق، والقوة، وما تضمنه اسم المتين، بأنه الشديد في جميع صفات الجبروت

و**{الرَّزَّاقُ}**: صيغة مبالغة من الرزق، وهو العطاء، وجاء بصيغ المبالغة لكثره رزقه وكثرة من يرزقه، فالذي يرزقه الله عز وجل لا يحصى باعتبار أجناسه، فضلاً عن أنواعه، فضلاً عن آحاده، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ويعطي الله الرزق بحسب الحال.

والرزق ينقسم إلى قسمين:

رزق عام: وهوكل ما ينتفع به البدن، سواء كان حلالاً أو حراماً، وسواء كان المرزوق مسلماً أو كافراً،

رزق خاص: وهو ما يقوم به الدين، من العلم النافع والعمل الصالح والرزق الحلال المعين على طاعة الله،

قوله { ذُو الْقُوَّةِ} القوة: صفة يتمكن الفاعل بها من الفعل بدون ضعف، والدليل على قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾

وليست القوة هي القدرة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾

فالقدرة يقابلها العجز، والقوة يقابلها الضعف

الفرق بين القوة والقدرة :

والفرق بينهما: أن القدرة يوصف بها ذو الشعور والقوة يوصف بها ذو الشعور وغيره.

ثانياً: أن القوة أخص فكل قوي من ذي الشعور قادر، وليس كل قادر قويا .

مثال ذلك: تقول: الريح قوية ، ولا تقول قادرة ،و تقول: الحديد قوي، ولا تقول: قادر، لكن ذو الشعور تقول: إنه قوي، وإنه قادر.

قوله (**الْمَتِينُ**) قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشديد

أي :الشديد في قوته، والشديد في عزته، الشديد في جميع صفات الجبروت، وهو من حيث المعنى توكيد للقوي.

ويجوز أن نخبر عن الله بأنه شديد، ولا نسمي الله بالشديد، بل نسميه بالمتين، لأن الله سمى نفسه بذلك.

ومن ثمرات الإيمان بصفة القوة والرزق، أن لا نطلب القوة والرزق إلا من الله تعالى، وأن نؤمن بأن كل قوة مهما عظمت، فلن تقابل قوة الله تعالى.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

في هذه الآية إثبات اسمين من أسماء الله، هما: السميع، والبصير. وثلاث صفات، هي: كمال صفاته من نفي المماثلة، والسمع، والبصر.

وقوله(**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) نفي سبحانه عن نفسه مماثلة أي شيء ، وهو من الصفات السلبية، والمقصود به إثبات كماله، يعني لكماله لا يماثله شيء من مخلوقاته، وفي هذه الجملة رد على أهل التمثيل.

قوله: **{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**

السميع : السمع المضاف إلى الله عز وجل ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: بمعنى المجيب : مثل قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ أي: لمجيب الدعاء.

الثاني: بمعنى السامع للصوت ،ينقسم إلى أقسام:

(أ): سمع يراد به بيان عموم إدراك سمع الله عز وجل، وأنه ما من صوت إلا ويسمعه الله ، وهو من الصفات الذاتية

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّه ﴾ ففيه بيان إحاطة سمع الله تعالى بكل مسموع، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، والله إني لفي الحجرة، وإن حديثها ليخفى على بعضه"

(**ب**): سمع يراد به النصر والتأييد ، وهو من الصفات الفعلية كما في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾

(**ج**): سمع يراد به الوعيد والتهديد، وهو من الصفات الفعلية

كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ فإن هذا يراد به تهديدهم ووعيدهم، حيث كانوا يسرون ما لا يرضى من القول.

و **{البصير}**، أي: المدرك لجميع المبصرات

فالله سبحانه وتعالى بصير، يرى كل شيء وإن خفي.

ويطلق البصير بمعنى العليم، أي: عليم بأفعال عباده، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ والذي نعمل بعضه مرئي وبعضه غير مرئي.

ومن ثمرات الإيمان بأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير: الكف عن محاولة تمثيل الله بخلقه، واستشعار عظمته وكماله، والحذر من أن يراك على معصيته أو يسمع منك مالا يرضاه.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

وفي الآية إثبات اسمين هما: السميع، والبصير. ومن الصفات: إثبات السمع، والبصر، والأمر، والموعظة.

قرأ أبو هريرة هذه الآية، وقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع إبهامه وسبابته على عينه وأذنه والمراد بهذا الوضع تحقيق السمع والبصر، لا إثبات العين والأذن، فإن ثبوت العين جاءت في أدلة أخرى، والأذن عند أهل السنة والجماعة لا تثبت لله ولا تنفى عنه لعدم ورود السمع بذلك.

وقوله: ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾،

وَقَوْلُهُ: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾.

في هذه الآيات في إثبات صفتي المشيئة والإرادة لله سبحانه وتعالى

أقسام الإرادة:

الإرادة تنقسم إلى قسمين:

الأول: إرادة كونية: وهذه الإرادة مرادفة تماماً للمشيئة[٢]، فـــ(أراد) فيها بمعنى (شاء)

ومن أحكامها:

أولاً: تتعلق فيما يحبه الله وفيما لا يحبه.

وعلى هذا فإذا قال قائل: هل أراد الله الكفر؟ فقل: بالإرادة الكونية نعم أراده، ولو لم يرده الله عز وجل، ما وقع.

ثانياً: يلزم منها وقوع المراد، يعني: أن ما أراده الله فلا بد أن يقع، ولا يمكن أن يتخلف.

الثاني: إرادة شرعية: وهي مرادفة للمحبة، فـــ(أراد) فيها بمعنى (أحب)

ومن أحكامها:

أولاً: تختص بما يحبه الله، فالله لا يريد الكفر بالإرادة الشرعية ولا الفسق.

ثانياً: أنه لا يلزم منها وقوع المراد، بمعنى: أن الله يريد شيئاً ولا يقع، فهو سبحانه يريد من الخلق أن يعبدوه، ولا يلزم وقوع هذا المراد، قد يعبدونه وقد لا يعبدونه، بخلاف الإرادة الكونية.

الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية من وجهين:

١- الإرادة الكونية يلزم منها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم منه الوقوع .

٢- الإرادة الشرعية تختص فيما يحبه الله، والكونية عامة فيما يحبه وما لا يحبه.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾

في هذه الآية: إثبات اسم من أسماء الله، وهو: الله، وإثبات ثلاث صفات: الألوهية، والقوة، والمشيئة،والمشيئة في هذه الآية كونية

الآية الثانية: قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيد ﴾

في هذه الآية من الأسماء: الله. ومن الصفات: المشيئة، والفعل، والإرادة ،والمشيئة هنا كونية

الآية الثالثة: قوله: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾

في هذه الآية من الأسماء: الله. ومن الصفات: التحليل، والحكم، والإرادة.

---

[٢] - لأن المشيئة لا تكون إلا كونية ، قال الشيخ ابن باز رحمه الله : بعضهم يقسم المشيئة قسمين كالإرادة، ولكن المعروف في القرآن أنها مشيئة واحدة ، بعض أهل العلم يضنها مثل الإرادة، والأصح أنها ليست كالإرادة، والوارد في النصوص أنها جاءت بمعنى الكونية، وإنما الإرادة هي التي جاء فيها التفصيل

وقوله: ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾: هذه الإرادة شرعية، لأن المقام مقام تشريع، ويجوز أن تكون إرادة شرعية كونية، ويحمل الحكم على الحكم الكوني والشرعي، فما أراده كوناً، حكم به وأوقعه، وما أراده شرعاً، حكم به وشرعه لعباده.

الآية الرابعة: قوله ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾

في الآية إثبات صفة الإرادة لله عز وجل.

والإرادة هنا إرادة كونية لا غير، لأنه قال: ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾، ﴿ومن يرد أن يضله﴾، وهذا التقسيم لا يكون إلا في الأمور الكونيات، أما الشرعية، فالله يريد من كل أحد أن يستسلم لشرع الله.

ومن ثمرات الإيمان بصفة الإرادة لله سبحانه وتعالى :

أن يعلق رجاء العبد وخوفه في جميع أحواله وأعماله بالله، لأن كل شيء بإرادته وبهذا يتحقق التوكل وهذا في الإرادة الكونية

والإرادة الشرعية. إذا علم العبد أن مراد الله الشرعي محبوب إليه قوي العزم على فعله

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ، ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾

وَقَوْلُهُ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ ،

هذه الآيات في إثبات صفة المحبة

وفي هذه الآيات من الأسماء: الله. ومن الصفات الألوهية، والمحبة.

وقوله:: { وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ }

في الآية اسمان من أسماء الله: الغفور، والودود. وصفتان: المغفرة، والود.

والغفور:هو الساتر لذنوب عباده المتجاوز عنها.

والودود : مأخوذ من الود، وهو خالص المحبة، و الله عز وجل واد ومودود، واد لأوليائه، وأولياؤه يودونه ويحبون الوصول إليه وإلى جنته ورضوانه.

ومن الآيات الواردة في صفة المحبة قوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه الخلة صفة من صفات الله عز وجل، لأنها أعلى أنواع المحبة، وهي توقيفية، فلا يجوز أن نثبت لأحد من البشر أنه خليل إلا بدليل، حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم عليه السلام، فهما خليلان لله عز وجل.

ومن ثمرات الأيمان بصفة المحبة أن يأتي العبد بالأعمال التي يحبها الله ومنها ماذكر في هذه الآيات التي أوردها المصنف رحمه الله من الإحسان، العدل. وتقوى الله والتوبة والطهارة الحسية والمعنوية,واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ولزوم طاعة الله وتوحيده

قوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ، ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ ، ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ{ ،} فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

في هذه الآيات إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى

الآية الأولى: قوله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

وفيها من أسماء الله ثلاثة: الله، الرحمن، الرحيم. ومن صفاته: الألوهية، والرحمة.

الآية الثانية والثالثة والرابع : قوله: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْما ﴾ { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا }،{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}

في الآيات من صفات الله: الربوبية وعموم الرحمة، والعلم.

وفيها دلالة على أن كل شيء وصله علم الله، وعلمه واصل لكل شيء، فإن رحمته وصلت إليه، لأن الله قرن بينهما في الحكم ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ﴾.

وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار، لأن الله قرن الرحمة هذه مع العلم، فكل ما بلغه علم الله، وعلم الله بالغ لكل شيء، فقد بلغته رحمته، فكما يعلم الكافر، يرحم الكافر أيضاً.

و رحمته للكافر رحمة جسدية بدنية دنيوية قاصرة غاية القصور بالنسبة لرحمة المؤمن، فالذي يرزق الكافر هو الله فيرزقه بالطعام والشراب واللباس والمسكن والمنكح وغير ذلك.

أما المؤمنون، فرحمتهم رحمة أخص من هذه وأعظم، لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية.

الآية الخامسة: قوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾

في الآية من صفات الله: الربوبية، والإيجاب، والرحمة.

و(كتب) .بمعنى: أوجب على نفسه الرحمة فالله عز وجل لكرمه وفضله وجوده أوجب على نفسه الرحمة ، وجعل رحمته سابقه لغضبه

ومن ثمرة الأيمان بصفة الرحمةإذا عرف العبد أن الله تعالى رحيم، فسوف يتعلق برحمة الله، ويكون منتظراً لها، فيحمله هذا الاعتقاد على فعل كل سبب يوصل إلى الرحمة

وقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾

في هذه الآية اثبات صفة الرضى لله تعالى ، وهو سبحانه يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل.

أما العمل، فمثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ أي: يرض الشكر لكم.

و بالعامل، مثل هذه الآية التي ساقها المؤلف: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه ﴾

و قوله: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾

في هذه الآية من صفات الله: الغضب، واللعن وإعداد العذاب.

ومن ثمرات الإيمان بها الحذر من كل ما يوجب غضب الله والطرد من رحمته

وقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾

وفي هذه الآية من صفات الله: إثبات السخط والرضى.

قوله: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُم ﴾

في الآية من صفات الله: الغضب، والانتقام.

آسفونا : أي: أغضبونا وأسخطونا.

والأسف له في اللغة معنيان:

الأول: .بمعنى الحزن، مثل قول الله تعالى عن يعقوب: (يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ)

الثاني: الأسف .بمعنى الغضب، فيقال: أسف عليه يأسف، .بمعنى: غضب عليه.

والمعنى الأول: ممتنع بالنسبة لله عز وجل. والثاني: مثبت لله، لأن الله تعالى وصف به نفسه، فقال: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾.

قوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾

في الآية إثبات أن الله عز وجل يكره

وكراهة الله سبحانه وتعالى للشيء تكون للعمل، كما في قوله: ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ وكما في قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾

وتكون للعامل، كما جاء في الحديث: "إن الله تعالى إذا أبغض عبداً، نادى جبريل، إني أبغض فلاناً، فأبغضه"

قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾

في الآية إثبات صفة المقت لله سبحانه

وصفة الرضا والغضب واللعن والأسف والانتقام والكراهية والمقت ،كلها من صفات الأفعال التي يفعلها جل وعلا متى شاء إذا شاء كيف شاء، وأهل السنة يثبتون ذلك لله كما أثبتها لنفسه على ما يليق بجلاله.

وَقَوْلُهُ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ ، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلآئِكَةُ تَنزِيلاً ﴾

في هذه الآيات إثبات صفة المجيء والإتيان لله رب العالمين

وأهل السنة والجماعة يثبتون أن الله يأتي بنفسه ، لأن الله تعالى ذكر ذلك عن نفسه، وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً من غيره وأحسن حديثاً، فكلامه مشتمل على أكمل العلم والصدق والبيان والله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه يجيء، ولم يخبرنا كيف يجيء، فنؤمن بأن الله يأتي حقيقة وعلى كيفية تليق به مجهولة لنا.

قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾ ليس في سياقها ذكر مجيء الله، لكن فيها الإشارة إلى ذلك، لأن تشقق السماء بالغمام إنما يكون لمجيء الله تعالى، بدليل الآيات السابقة.

ومن ثمرات الإيمان بصفة المجيء والإتيان لله تعالى:

الخوف من هذا المقام و المشهد العظيم الذي يأتي فيه الرب عز وجل للفصل بين عباده وتنزل الملائكة، ولا يبقى أمام العبد إلا الرب عز وجل ، فإن عمل خيراً، جوزي به، وإن عمل سوى ذلك، فإنه سيجزى به، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الإنسان يخلو به الله عز وجل، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار، ولو بشق تمرة"

فالإيمان يمثل هذه الصفات العظيمة يبعث في العبد رهبة وخوفاً من الله سبحانه وتعالى واستقامة على دينه.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾

في هاتين الآيتين إثبات صفة الوجه لله تعالى

الآية الأولى: قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾

قال بعض السلف: ينبغي إذا قرأت: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾، أن تصلها بقوله: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾، حتى يتبين نقص المخلوق وكمال الخالق، وذلك للتقابل، فالأولى فناء والثانية بقاء

قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ أي: لا يفنى.

والوجه: معناه معلوم، لكن كيفيته مجهولة، لا نعلم كيف وجه الله عز وجل، كسائر صفاته، لكننا نؤمن بأن له وجهاً حقيقة موصوفاً بالجلال والإكرام، وموصوفاً بالبهاء والعظمة والنور العظيم، حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام: "حجابه النور، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" رواه مسلم

قوله (سبحات وجهه)، أي: بهاءه وعظمته وجلاله ونوره.

وقوله(ما انتهى إليه بصره من خلقه): وبصره ينتهي إلى كل شيء، وعليه، فلو كشف هذا الحجاب ـــ حجاب النور عن وجهه ـــ، لاحترق كل شيء.

ومن حاول أن يتصور هذه الكيفية بقلبه أو أن يتحدث عنها بلسانه، فهو مبتدع ضال، قائل على الله مالا يعلم، وقد حرم الله علينا أن نقول عليه مالا نعلم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾

الآية الثانية: قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ أي:كل شيء فان وزائل، إلا وجه الله عز وجل، فإنه باق،

وقيل في معنى الآية: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه ﴾، أي: إلا ما أريد به وجهه.

لأن سياق الآية يدل على ذلك: ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه ﴾ أي: لا تدع مع الله إلهاً آخر فتشرك به، لأن عملك وإشراكك هالك، أي: ضائع سدي، إلا ما أخلصته لوجه الله، فإنه يبقى، لأن العمل الصالح له ثواب باقى لا يفنى في جنات النعيم.

ولكن المعنى الأول أقوى.

ويمكن أن نحمل الآية على المعنيين، إذ لا منافاة بينهما، فتحمل على هذا وهذا، فيقال: كل شيء يفنى إلا وجه الله عز وجل، وكل شيء من الأعمال يذهب هباء، إلا ما أريد به وجه الله.

وعلى أي التقديرين، ففي الآية دليل على ثبوت الوجه لله عز وجل.

وقد فسر أهل التحريف وجه الله بثوابه، فقالوا: المراد بالوجه في الآية الثواب، كل شيء يفنى، إلا ثواب الله!

وقولهم مردود بما يلي:

أولا: أنه مخالف لإجماع السلف، فما من السلف أحد قال: إن المراد بالوجه الثواب

ثانيا: أنه لايمكن أن يوصف الثواب بهذه الصفات العظيمة: (ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَام)

ثالثا: في قوله صلى الله عليه وسلم: "حجابه النور، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بضره من خلقه" فهل الثواب له هذا النور الذي يحرق ما انتهى إليه بصر الله من الخلق؟! أبداً، ولا يمكن.

وبهذا عرف بطلان قولهم، وأن الواجب تفسير هذا الوجه بما أراده الله به، وهو وجه قائم به تبارك وتعالى موصوف بالجلال والإكرام.

مسألة : كل ما جاء من كلمة (الوجه) مضافاً إلى الله يراد به وجه الله الذي هو صفاته

كما في قوله تعالى(وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَه) ، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وما أشبهها من الآيات.

و اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه ﴾ على قولين :

الأول : أن المراد بالوجه في الأية وجه الله الحقيقي، أي: إلى أي جهة تتوجهون، فثم وجه الله سبحانه وتعالى، لأن الله محيط بكل شيء، ولأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المصلي إذا قام يصلي، فإن الله قبل وجهه ولهذا نهى أن يبصق أمام وجهه، لأن الله قبل وجهه.

فإذا صلي العبد في مكان لا يدري أين القبلة، واجتهد وتحرى، ثم صلى، وصارت القبلة في الواقع خلفه، فالله يكون قبل وجه، حتى في هذه الحال.

فيكون معنى الآية (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا)يعني: إلى أي مكان تولوا وجوهكم عندا لصلاة. (فثم)أي: فهناك وجه الله.

الثاني: إن الوجه بمعنى الجهة، لقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ ، فالمراد بالوجه الجهة، أي: فثم جهة الله، أي: فثم الجهة التي يقبل الله صلاتكم إليها.

لأنها نزلت في حال السفر، إذا صلى الإنسان النافلة، فإنه يصلي حيث كان وجهه، أو إذا اشتبهت القبلة، فإنه يتحرى ويصلي حيث كان وجهه.

والصحيح الأول ،وإذا قلنا: فثم جهة الله، وكان هناك دليل، سواء كان هذا الدليل تفسير الآية الثانية في الوجه الثاني، أو كان الدليل ما جاءت به السنة، فإنك إذا توجهت إلى الله في صلاتك، فهي جهة الله التي يقبل الله صلاتك إليها، فثم أيضاً وجه الله حقاً. وحينئذ يكون المعنيان لا يتنافيان.

واعلم رحمك الله أن هذا الوجه العظيم الموصوف بالجلال والإكرام وجه لا يمكن الإحاطة به وصفاً، ولا يمكن الإحاطة به تصوراً، بل كل شيء تقدره، فإن الله تعالى فوق ذلك وأعظم، كما قال تعالى: ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْما ﴾

مسألة :المراد بالوجه في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه ﴾ أي: إلا ذاته المتصفة بالوجه.

وهذا ليس فيه شيء، لأن الفرق بين هذا وبين قول أهل التحريف أن هؤلاء يقولون: إن المراد بالوجه الذات ولا وجه له ،أهل السنة يقولون : المراد بالوجه الذات، لأن له وجهاً، فعبر به عن الذات.

وقوله:(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)، (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)

في هذه الآيات إثبات صفة اليدين لله تعالى

الآية الأولى: قوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾

في الآية إثبات صفة الخلق و اليدين لله سبحانه وتعال وهي اليدين اللتين بهما يفعل، كالخلق في هذه الآية. واليدين اللتين بهما يقبض: كما قال تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

وبهما يأخذ، فإن الله تعالى يأخذ الصدقة فيربيها كما يربي الإنسان فلوه

قال أهل العلم:خلق الله آدم بيده وكتب الله التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده.

الآية الثانية: قوله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ

(يد الله مغلولة) ، أي: محبوسة عن الإنفاق، كما قال الله تعالى: (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) أي: محبوسة عن الإنفاق.

ولما وصفوا الله بهذا العيب، عاقبهم الله بما قالوا، فقال: ﴿غلت أيديهم﴾، أي: منعت عن الإنفاق، ولهذا كان اليهود أشد الناس جمعاً للمال ومنعاً للعطاء، فهم أبخل عباد الله، وأشدهم شحاً في طلب المال، ﴿ولعنوا ما قالوا﴾، أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله عز وجل، ﴿بل يداه مبسوطتان﴾.واسعتا العطاء بالنعم التي لا تعد ولا تحصى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يد الله ملأى سحاء (كثيرة العطاء) الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما فيه يمينه" متفق عليه

مسألة : جاءت اليد مضافة إلى الله في القران مفردة ومثناة وجمعاً

فالجمع :في قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾

والإفراد في قوله تعالى (يَدُ اللَّهِ)

والثنية في قوله تعالى (لما خلقت بيدي)

ويعتقد أهل السنة أن ليس لله إلا يدان اثنتان، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ والمقام مقام تشريف، ولو كان الله خلقه بأكثر من يدين، لذكره، لأنه كلما ازدادت الصفة التي بها خلق الله هذا الشيء، ازداد تعظيم هذا الشيء.

وقال تعالى : ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ في الرد على من قالوا: ﴿يد الله﴾، بالإفراد، والمقام مقام يقتضي كثرة النعم، وكلما كثرت وسيلة العطاء، كثر العطاء، فلو كان لله تعالى أكثر من اثنتين لذكرهما الله لأن العطاء يكثر

وقال صلى الله عليه وسلم: "يطوي الله تعالى السماوات بيمينه والأرض بيده الأخرى" متفق عليه

وقال صلى الله عليه وسلم: "كلتا يديه يمين"رواه مسلم ،و لم يذكر أكثر من اثنتين.

وأجمع السلف على أن لله يدين اثنتين فقط بدون زيادة.

فإذا ثبت ذلك فقوله تعالى : {مما عملت أيدينا}الدالة على الجمع

فالمراد بهذا الجمع التعظيم، تعظيم هذه اليد وليس المراد أن لله تعالى أكثر من اثنتين.

وقوله تعالى {يد الله}: الدالة على الإفراد

فإن المفرد المضاف يفيد العموم، فيشمل كل ما ثبت لله من يد، وقد ثبت لله يدين فقط

مسألة : المراد باليد في قوله تعالى :(مما عملت أيدينا) نفس الذات التي لها يد، أي الله سبحانه وتعالى

وقد قال الله تعالى:(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) ، أي: بما كسبوا، سواء كان من كسب اليد أو الرجل أو اللسان أو غيرها من أجزاء البدن، لكن يعبر بمثل هذا التعبير عن الفاعل نفسه.

ولهذا نقول: إن الأنعام التي هي الإبل لم يخلقها الله تعالى بيده، وفرق بين قوله: ﴿مما عملت أيدينا﴾، وبين قوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾، فـــ: ﴿مما عملت أيدينا﴾، كأنه قال: مما عملنا، لأن المراد باليد ذات الله التي لها يد، والمراد بـــ﴿بيدي﴾: اليدان دون الذات.

مسألة :قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ فالأيد هنا بمعنى القوة، فهي مصدر (فعله) آد يئد أيداً، ومعناه القوة، وليس المراد بالأيد صفة الله، ولهذا لم يضفها الله إلى نفسه، فلم يقل : بأيدينا ،بل قال: ﴿بأيد﴾، أي: بقوة.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ فإن لعلماء السلف في قوله: ﴿عن ساق﴾: قولين:

الأول: أن المراد به الشدة.

الثاني: أن المراد به ساق الله عز وجل.

فمن نظر إلى سياق الآية مع حديث أبي سعيد عند البخاري وفيه " فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن "متفق عليه

قال: إن المراد بالساق هنا ساق الله.

ومن نظر إلى الآية بمفردها، قال: المراد بالساق الشدة.

وَقَولُهُ: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ ، ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ .

في هذه الآيات إثبات صفة العينين لله تعالى

الآية الأولى: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾

و قوله: {فإنك بأعيننا}، أي: فإنك محروس غاية الحراسة، محفوظ غاية الحفظ و أعيننا معك، نحفظك، ونرعاك، ونعتني بك.

وفي هذه الآية إثبات العين لله عز وجل، وهي من الصفات الذاتية الخبريةلأنه لم يزل ولا يزال متصفاً بها، وهي عينين اثنتين فقط لقوله صلى الله عليه وسلم حين وصف الدجال: "إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور" وفي لفظ: "أعور العين اليمنى". متفق عليه

فدل على أن لله تعالى عينين اثنتين من وجهين:

الأول : ،أنه لو كان لله أكثر من عينين اثنتين، لقال صلى الله عليه وسلم: إن ربكم له أعين، لأن البيان به أوضح من البيان بالعور، ، لأنه إذا كان له أعين أكثر من ثنتين، صار وضوح أن الدجال ليس برب أبين.

الثاني : لو كان لله عز وجل أكثر من عينين، لكان ذلك من كماله، وكان ترك ذكره تفويتاً للثناء على الله، لأن الكثرة تدل على القوة والكمال والتمام، فلو كان لله أكثر من عينين، لبينها الرسول عليه الصلاة والسلام، لئلا يفوتنا اعتقاد هذا الكمال، وهو الزائد على العينين الثنتين

مسألة : فسر بعض السلف قوله تعالى: ﴿بأعيننا﴾، أي: بمرأى منا ، و هذا من التفسير باللازم، مع إثبات الأصل، وهي العين، وأهل التحريف يقولون: بمرأى منا، بدون إثبات العين، وأهل السنة والجماعة يقولون: ﴿بأعيننا﴾: بمرأى منا، مع إثبات العين.

و ذكر العين هنا أشد توكيداً وعناية من ذكر مجرد الرؤية، ولهذا قال: ﴿فإنك بأعيننا﴾.

مسألة : ظاهر الآية في قوله تعالى : ﴿فإنك بأعيننا﴾، المصاحبة، فإذا قلت: أنت بعيني، أي: أن عيني تصحبك وتنظر إليك، لا تنفك عنك، و الله عز وجل يقول لنبيه: اصبر لحكم الله، فإنك محوط بعنايتنا وبرؤيتنا لك بالعين حتى لا ينالك أحد بسوء.

ولا يمكن أن تكون الباء هنا للظرفية، لأنه يقتضي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم: في عين الله، وهذا محال.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾

قوله: ﴿تجري بأعيننا﴾، والقول فيها كالقول فيما تقدم في قوله تعالى: ﴿فإنك بأعيننا﴾

الآية الثالثة: قوله: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي }

وقوله: ﴿ولتصنع على عيني﴾، جاءت لفظة العين مضافة إلى الله بالجمع والتثنية الإفراد، والقول فيها كالقول فيما تقدم في اليدين

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ،وَقَوْلُهُ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ، ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون ﴾

في هذه الآيات إثبات صفتي السمع والرؤية لله سبحانه

الآية الأولى: قوله تعالى :{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }

في الآية هذا إثبات السمع لله سبحانه وتعالى، وأنه يسمع الأصوات مهما بعدت ومهما خفيت.

قالت عائشة رضي الله عنها:حين نزلت سورة المجادلة "تبارك(أو قالت: الحمد لله) الذي وسع سمعه الأصوات، إني لفي ناحية البيت، وإني ليخفى على بعض حديثها" رواه أحمد

الآية الثانية: قوله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)

وسبب قولهم هذا: أنه لما نزل قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ، قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: يا محمد! إن ربك افتقر، يسأل القرض منا.

الآية الثالثة: قوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}

السر: ما يسره الإنسان إلى صاحبه.

والنجوى: ما يناجي به صاحبه ويخاطبه، فهو أعلى من السر.

الآية الرابعة: قوله: { إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }أسمع ما تقولان، وأسمع ما يقال لكما، وأراكما، وأرى من أرسلتما إليه، وأرى ما تفعلان، وأرى ما يفعل بكما.

لأنه إما أن يساء إليهما بالقول أو بالفعل، فإن كان بالقول، فهو مسموع عند الله، وإن كان بالفعل، فهو مرئي عند الله.

الآية الخامسة: قوله:{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى }

في هذه الآية إثبات صفة الرؤية لله عز وجل.

والرؤية المضافة إلى الله لها معنيان:

الأول: العلم.: كقوله تعالى عن القيامة: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدا*وَنَرَاهُ قَرِيباً) فالرؤية هنا رؤية العلم، لأن اليوم ليس جسماً يرى، وأيضاً هو لم يكن بعد، فمعنى: (وَنَرَاهُ قَرِيباً) ، أي: نعلمه قريباً.

الثاني: رؤية المبصرات، يعني: إدراكها بالبصر.

وقوله: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} فهي صالحة لأن تكون بمعنى العلم وبمعنى الرؤية البصرية، وإذا كانت صالحة لهما، ولا منافاة بينهما وجب أن تحمل عليهما جميعاً، فيقال: إن الله يعلم ما يفعله هذا الرجل وما يقوله، ويراه أيضاً.

الآية السادسة: قوله: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ *إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

في هذه الآية إثبات صفتي السمع والرؤية.

والرؤية هنا رؤية البصر، لأن قوله: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ } لا تصح أن تكون بمعنى العلم، لأن الله يعلم به حين يقوم وقبل أن يقوم، وأيضاً لقوله: {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ } وهو يؤيد أن المراد بالرؤية هنا رؤية البصر.

الآية السابعة: قوله: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ }

والرؤية هنا شاملة للعلمية والبصرية.

ومن ثمرات الإيمان بصفتي السمع والرؤية:

أما الرؤية، فهي تستثير الخوف والرجاء عند العبد: فالخوف عند المعصية، والرجاء عند الطاعة، لأن الله يراه. فتتقوى النفس لطاعة الله، وتضعف إرادتها لمعصيته.

وأما السمع، فإذا آمن العبد بسمع الله، استلزم إيمانه كمال مراقبة الله تعالى فيما يقول خوفاً ورجاءً خوفاً، فلا يقول ما يسمع الله تعالى منه من السوء، ورجاء، فيقول الكلام الذي يرضي الله عز وجل.

وقوله: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ وقوله: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ، وقوله: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً)وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾

في هذه الآيات إثبات صفات المحال والمكر و الكيد. وكلها بمعنى واحد ، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه المعاني لله عز وجل على سبيل الحقيقة.

الآية الأولى: في المحال ، هي قوله: (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ). أي: شديد الأخذ بالعقوبة.

وقيل: إن المحال بمعنى المكر؛ أي: شديد المكر

و على هذا التفسير فالمحال مأخوذ من الحيلة وهي أن يتحيل بخصمه حتى يتوقع به .

وهذا المعنى ظاهر صنيع المؤلف رحمه الله؛ لأنه ذكرها في سياق آيات المكر والكيد.

والمكر: هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم؛ وهو لا يحس ولا يدري، ولكنها بالنسبة لمن فعله معلومة مدبرة.

الآية الثانية والثالثة : في المكر ، وهي قوله: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

وقوله: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

الآية الرابعة: في الكيد ، وهي قوله: ﴿إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً﴾

والمكر والكيد والمحال تكون في موضع مدحاً وفي موضع ذماً:

فإن كان في مقابلة من يمكر؛ فهو مدح؛ لأنه يقتضي أنك أنت أقوى منه.

وإن كان في غير ذلك؛ فهو ذم ويسمي خيانة.

ولهذا لم يصف الله نفسه به إلا على سبيل المقابلة والتقييد؛ كما قال الله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } { وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ }

وعليه فلا يوصف الله سبحانه وتعالى بالمكر والكيد على الإطلاق؛ فلا يقال: إن الله ماكر ! لا على سبيل الخبر ، ولا على سبيل التسمية .

ولا يقال إنه كائد لا على سبيل الخبر ، ولا على سبيل التسمية؛ ذلك لأن هذا المعنى يكون مدحاً في حال ويكون ذماً في حال؛ فلا يمكن أن نصف الله به على سبيل الإطلاق.

وقوله تعالى: (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) فهذا كمال؛ ولهذا لم يقل: أمكر الماكرين بل قال: (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) فلا يكون مكره إلا خيراً .

والوصف الصحيح أن نقول: هو خير الماكرين.

أو نصفه بصفة المكر في سبيل المقابلة؛ أي: مقابلة من يمكر به، فنقول: إن الله تعالى ماكر بالماكرين؛ لقوله تعالى: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ).

مسألة :قوله تعالى { اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ } فهي من باب المكر والكيد فلا يصح أن نخبر عن الله بأنه مستهزئ على الإطلاق؛ لأن الاستهزاء نوع من اللعب ، وهو منفي عن الله؛ قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ }

لكن في مقابلة من يستهزئ به يكون كمالاً؛ كما قال تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } قال الله: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ }

ومن ثمرات الإيمان بصفة المكر والكيد والمحال: يستشعر به العبد مراقبة الله سبحانه وتعالى، وعدم التحيل على محارمه وبالنسبة للعبد المتحايل على محارم الله إذا علم أن الله تعالى خير منه مكراً، وأسرع منهم مكراً؛ فإنه سوف ينتهي عن ذلك .

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ ، ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم. ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

في هذه الآيات اثبات صفة العفو والقدرة والمغفرة والرحمة والعزة

الآية الأولى: في العفو والمقدرة: وهي قوله: { إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}

وفي هذه الأية اثبات اسم (العفو) و (القدير) لله سبحانه ، وصفتين، وهما العفو، والقدرة.

والعفو: هو المتجاور عن سيئات عباده، والغالب أن العفو يكون عن ترك الواجبات، و المغفرة عن فعل المحرمات.

والقدير: ذو القدرة يالتي يتمكن بها الفاعل من الفعل بدون عجز.

وجمع الله تعالى بين العفو والقدير؛ لأن كمال العفو أن يكون عن قدرة .

أما العفو الذي يكون عن عجز؛ فهذا لا يمدح فاعله؛ لأنه عاجز عن الأخذ بالثأر .

وأما العفو الذي لا يكون مع قدرة؛ فقد يمدح لكنه ليس عفواً كاملاً، بل العفو الكامل ما كان عن قدرة.

الآية الثانية: في المغفرة والرحمة: قوله: { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم }

في هذه الأية اثبات اسم (الغفور) و (الرحيم) لله سبحانه ، وصفة المغفرة ، والرحمة

وقرن الله سبحانه بين هذين الاسمين، لأنهما دالان على معنى متشابه، ففي المغفرة زوال المكروب و آثار الذنب، وفي الرحمة حصول المطلوب، كما قال الله تعالى للجنة: " أنت رحمتي أرحم بك من أشاء" متفق عليه

الآية الثالثة والرابعة : في العزة، وهي قوله: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } وقوله : { فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }

والعزة تنقسم إلي ثلاثة أقسام:

١- **عزة القدر**: فالله تعالى ذو قدر عزيز، يعني: لا نظير له.

٢- **عزة القهر**: هي عزة الغلبة، أي: أنه سبحانه غالب كل شيء، قاهر كل شيء، ومنه قوله تعالي: { فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ }، أي: غلبني في الخطاب. فالله سبحانه عزيز لا غالب له بل هو غالب كل شيء.

٣- **عزة الامتناع**: وهي أن الله تعالى يمتنع أن يناله سوء أو نقص

وكلها تدل على كمال قهره وسلطانه، وعلى كمال صفاته وأنه لا مثيل لها، وعلى تمام تنزهه عن النقص والعيب.

مسألة :العزة التي أثبتها الله لرسوله وللمؤمنين في هذه الآية ليست كعزة الله، فإن عزة الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين قد يشوبها ذلة، لقوله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ } وقد يغلبون أحياناً لحكمة يريدها الله عز وجل، لكنه مؤقت. أما عزة الله عز وجل، فلا يمكن أبداً أن تفقد.

وهي مندرجة تحت قاعدة: لا يلزم من اتفاق الاسمين أن يتماثل المسميان، ولا من اتفاق الصفتين أن يتماثل الموصوفان.

قوله سبحانه عَنْ إِبْلِيسَ { فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}فيها إثبات أن الشيطان يقر بصفات الله بينما نجد من بني آدم ممن ينتسب للقبلة من ينكر صفات الله أو بعضها، أفيكون الشيطان أعلم بالله وأعقل مسلكاً من هؤلاء النفاة؟!

ومن ثمرات الايمان بصفة العفو والعزة : إذا علم العبد أن الله عفو، وأنه قدير، أوجب له ذلك أن يسأله العفو دائماً، وأن يرجو منه العفو عما حصل منه من التقصير في الواجب.

وإذا علم أن الله عزيز، فإنه لا يمكن أن يفعل فعلاً يحارب الله فيه،كالربا وقطع الطريق ونحوها من المعاصي التي فيها محاربة للعزيز القدير

قوله ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .

في هذه الأية اثبات الاسم لله سبحانه

مسألة: لفظة(تبارك) لا تخلو من حالين :

الاولى : إن وُصِف الله بها كان معناها : تعالى وتعاظم ، كقوله تعالى { تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }

الثانية :إن وصف بها اسم الله، كان معناها: أن البركة تكون باسم الله، لأن اسم الله إذا صاحب شيئاً، صارت فيه البركة،وهي في هذه الآية من هذا المعنى

وقوله: **{ذي الجلال والإكرام }** أي صاحب العظمة والتكريم

والاكرام بمعنى التكريم صالح لأن يكون الإكرام من الله لمن أطاعه، وممن أطاعه له.

فـــ (**الجلال**): عظمته في نفسه، (**والإكرام**) عظمته في المؤمنين، فيكرمونه ويكرمهم.

ومن ثمرات الايمان بوصف الجلال والاكرام إذا علم العبد أن الله تعالي موصوف بالجلال، فإن ذلك يستوجب أن يعظمه، ويجله ،وإذا علم أنه موصوف بالإكرام فإن ذلك يستوجب أن يرجو كرمه وفضله.

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ ، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا | الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا { ، وقوله: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ | عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

في هذه الأيات بيان الصفات المنفية في تتريه الله ونفي المثل عنه

تقدم أن صفات الله عز وجل ثبوتية وسلبية أي: منفية، لأن الكمال لا يتحقق إلا بإثبات الكمالات ونفي النقائص.

وقد شرع المؤلف رحمه الله بذكر الصفات المنفية

الأية الأولى: قوله: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً}

(السمي): الشبيه والنظير.

قوله: (هل تعلم له سميا): الاستفهام للنفي، و الاستفهام إذا كان للنفي، كان مشرباً معنى التحدي، والمعنى إن كنت صادقاً، فأخبرنا هل تعلم له شبيها ونظير ، فإن لم يكن له ، فالواجب أن تعبده وحده. ونفي الشبيه والنظير يتضمن الكمال المطلق، فيكون المعنى: هل تعلم له سمياً لثبوت كماله المطلق الذي لا يساميه أحد فيه

الآية الثانية: قوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ }

في الآية نفي الكفء لله عز وجل، وذلك لكمال صفاته، فلا أحد يكافئه، لا في علمه ، ولا سمعه، ولا بصره ، ولا قدرته، ولا عزته، ولا حكمته، ولا غير ذلك من صفاته.

ومن ثمرات الايمان بكون الله لاسمي ولاكفؤ له يستشعر العبد في قلبه بأن الله تعالى متره عن كل نقص، وأنه لا مثيل له، ولا ندله، وبهذا يعظمه حق تعظيمه بقدر استطاعته.

الآية الثالثة والرابعة: قوله: { فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }وقوله: { ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله}.

الأنداد: جمع ند، وند الشيء ما كان مكافئاً له ومتشابهاً،

وفي الآيتين نفي الند عن الله لكمال صفاته.

الآية الخامسة: قوله: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً }

في هذه الآية نفي الولد عن الله لكمال صفاته وكمال غناه عن غيره، ولأنه لا مثيل له،

ونفي الشريك عنه لكمال ملكه فكل ما سوى الله، فهو مخلوق لله، مملوك له، يدبره كما يشاء، و لم يشاركه أحد في ذلك.

ونفي الولي من الذل لأن الله تعالى له العزة جميعاً، فلا يلحقه الذل بوجه من الوجوه، لكمال عزته.

ومن ثمرات الإيمان بنفي الولد والشريك يستشعر العبد كمال غنى الله عز جل عن كل أحد، وانفراده بالملك، وتمام عزته وسلطانه، وحينئذ يعظم الله سبحانه وتعالى بما يستحق أن يعظم به بقدر استطاعته.

الآية السادسة: قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير }

{يسبح لله} صفة سلبية، ومعناها ، تنزيهه عما لا يليق به.

ومن ثمرات الايمان بتنزيه الله معرفة عظمة الله فيزداد العبد محبة له وتعظيما

الآية السابعة والثامنة: وقوله: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً}

في الآيتين نفي الولد والشريك عن الله سبحانه وتعالى ، وهما صفة سلبية.

الآية التاسعة والعاشرة: قوله: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ *عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

في هاتين الآيتين من صفات النفي: تنزيه الله تعالى عن اتخاذ الولد الذي وصفه به الكافرون، وعن الشريك له في الألوهية الذي أشرك به المشركون ،وهذا النفي لكمال غناه وكمال ربوبيته وإلهيته. وثمرة الايمان بذلك يحمل العبد على الإخلاص لله عز وجل.

الآية الحادية عشرة: قوله: {فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ }

أي: لا تجعلوا لله مثلاً، فتقولون: مثل الله كمثل كذا وكذا أو تجعلوا له شريكاً في العبادة.

وهذه الآية تتضمن كمال صفات الله عز وجل، حيث إنه لا مثيل له.

ومن ثمرات الإيمان بأنه سبحانه لامثيل له كمال تعظيم العبد لربه عز وجل، لأنه إذا علم أنه لا مثيل له، تعلق به رجاءً وخوفاً، وعظمه، وعلم أنه لا يمكن أن يماثله سلطان ولا ملك ولا وزير ولا رئيس، مهما كانت عظمة ملكيتهم ورئاستهم ووزارتهم، لأن الله سبحانه ليس له مثل.

الآية الثانية عشرة: قوله: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)

والصفات المنفية في هذه الأية هي في قوله {وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) فقوله {وأن تشركوا}، أي: لا تجعلوا لله شريكاً لكماله. ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ لكماله، فإنه من تمام سلطانه أن لا يقول عليه أحد ما لا يعلم.

ويدخل في القول على الله بغير علم تحريف نصوص الكتاب والسنة في الصفات وغيرها، فمن حرف نصوص الصفات فقد قال على الله مالا يعلم من وجهين:

الأول: أنه نفى الظاهر بلا علم.

والثاني: أثبت لله خلافه بغير دليل.

فمن قال : لم يرد الله كذا، وأراد كذا، قيل له : أين الدليل على أنه لم يرد ، وعلى أنه أراد كذا! فإن لم يأت بالدليل فإنه قد قال على الله ما لا يعلم.

وَقَوْلُهُ :الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ: فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ؛ قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ آلم السَّجْدَةِ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾

في هذه الآيات اثبات استواء الله على عرشه وهو من الصفات الفعلية؛ لأنه يتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله ولا يماثل استواء المخلوقين.

و {العرش}: هو السقف المحيط بالمخلوقات، وهو أكبر المخلوقات

وأصل العرش في اللغة: السرير الذي يختص به الملك.

والاستواء :هو العلو والاستقرار.

مسألة :ورد عن السلف في تفسير الاستواء أربعة معاني:

الأول: علا، والثاني: ارتفع، والثالث: صعد. والرابع: استقر.

ف(علا) و (ارتفع) و (صعد) معناها واحد، وأما (استقر)، فهو يختلف عنها.

والدليل على هذه المعاني: أن الأستواء في جميع مواردها في اللغة العربية لم تأت إلا لهذا المعنى إذا كانت متعدية بـــ(على):

قال الله تعالى: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ أي : علوت عليه

وقال تعالى: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)

فهو سبحانه تعالى مستوٍ على العرش أي: عال عليه، وهذا العلو ليس هو العلو العام لجميع المخلوقات، بل هو علو خاص مختص بالعرش.

مسألة :فسر أهل التعطيل الاستواء بالاستيلاء، وقالوا: معنى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ يعني: ثم استولى عليه.

وقولهم باطل لأمور:

الأول: أن قولهم هذا مخالف لظاهر النص.

ثانياً: مخالف لإجماع الصحابة وإجماع السلف قاطبة.

ثالثاً: أنه لم يرد في اللغة العربية أن (استوى) بمعنى (استولى)

رابعاً: أنه يلزم عليه لوازم باطلة منها:

١- أن يكون العرش قبل خلق السماوات والأرض، ملكاً لغير الله.

٢- أن كلمة (استولى) تعطي في الغالب أن هناك مغالبة بين الله وبين غيره، فاستولى عليه وغلبه.

ولما كان أبو المعالي الجويني ـــ عفا الله عنه ـــ يقرر مذهب الأشاعرة، وينكر استواء الله على العرش، بل وينكر علو الله بذاته، قال:"كان الله تعالى و لم يكن شيء غيره، وهو الآن على ما كان عليه".

وهو يريد أن ينكر استواء الله على العرش، يعني: كان ولا عرش، وهو الآن على ما كان عليه، إذاً: لم يستو على العرش.

فقال له أبو العلاء الهمداني: يا أستاذ! دعنا من ذكر العرش والاستواء على العرش ـــ يعني: لأن دليله سمعي، ولولا أن الله أخبرنا به ما علمناه ـــ أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجد في نفوسنا: ما قال عارف قط: يا الله! إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو. فبهت أبو المعالي، وجعل يضرب على رأسه ويقول : حيرني الهمداني، حيرني الهمداني!وذلك لأن هذا دليل فطري لا أحد ينكره.

مسألة : أصل مادة (س و ي) تدل على الكمال

قال تعالى : ﴿الذي خلق فسوى ﴾ أي: أكمل ما خلقه؛ فأصل السين والواو والياء تدل على الكمال.

ثم هي على أربعة أوجه في اللغة العربية:

١- معداة بـــ (على) مثل قوله تعالى: (استوى على العرش) ومعناها: علا واستقر

٢- معداة بـــ(إلى) مثل قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)

وقد اختلف فيها أهل العلم على قولين :

الأول : إنها كالمعداة بـــ (على) ، وهذا ظاهر تفسير ابن جرير رحمه الله؛ فمعنى (استوى إلى السماء)؛ أي: ارتفع إليها.

الثاني : الاستواء هنا بمعنى القصد الكامل؛ فمعنى: استوى إلي السماء؛ أي: قصد إليها قصداً كاملاً

وإلى هذا ذهب ابن كثير رحمه الله؛ ففسر قوله: (ثم استوى إلى السماء)؛ أي: قصد إلى السماء

٣- مقرونة بالواو ، كقولهم: استوى الماء والخشبة؛ بمعنى: تساوى الماء والخشبة.

٤- مجردة ،كقوله تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) ومعناها: كمل.

مسألة :كونه سبحانه استوى على العرش؛ بمعنى: علا؛ لايلزم أنه قبل ذلك ليس عالياً

لأن الاستواء على العرش أخص من مطلق العلو؛ فالاستواء على العرش علو خاص به، والعلو المطلق شامل على جميع المخلوقات؛ فعلوه عز وجل ثابت له أزلاً وابداً ، لم يزل عالياً على كل شيء قبل أن يخلق العرش ، ولا يلزم من عدم استوائه على العرش عدم علوه، بل هو عال ، ثم بعد خلق السماوات والأرض علا علواً خاصاً على العرش.

وَقَوْلُهُ : ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ، ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه ﴾ ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ، ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ | أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ | أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِير ﴾ .

في هذه الآيات إثبات علو الله سبحانه وتعالى على خلقه

أقسام علو الله :

علو الله عز وجل ينقسم إلى قسمين: علو معنوي ، وعلو ذاتي

الأول : العلو المعنوي: وهو علو الصفات ومعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها سواء كانت من صفات المجد والقهر، أم من صفات الجمال والقدر،وهذ العلو ثابت لله بإجماع أهل القبلة؛ ؛ فكلهم يؤمنون بأن الله تعالى عال علواً معنوياً .

الثاني : العلو الذاتي : معناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه وهذا العلو يثبته أهل السنة ، ولا يثبته المبتدعة ؛ فيقولون: إن الله تعالى ليس عالياً علواً ذاتياً.

الأدلة على علو الله الذاتي

علو الله سبحانه وتعالى الذاتي ثابت بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة:

أولاً :الكتاب الحكيم تنوعت دلالته على علو الله؛ فتارة بذكر العلو، وتارة بذكر الفوقية ، وتارة بذكر نزول الأشياء من عنده، وتارة بذكر صعودها إليه، وتارة بكونه في السماء

فالعلو مثل قوله: { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }وقوله{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى }

والفوقية: مثل قوله تعالى {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } وقوله {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }

ونزول الأشياء منه مثل قوله: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ } وقوله {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ }

وصعود الأشياء إليه؛ مثل قوله: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } ، ومثل قوله {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ }

وكونه في السماء؛ مثل قوله: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ }

ثانياً: السنة فقد تواترت عن النبي ، صلى الله عليه وسلم من قوله وفعله وإقرار

١-قوله صلى الله عليه وسلم فمن طريقين :

الأول : بذكر العلو والفوقية ، ومنه قوله ، صلى الله عليه وسلم "سبحان ربي الأعلى" وقوله لما ذكر السماوات؛ قال: "والله فوق العرش" رواه ابن خزيمة في كتاب "التوحيد" ، واللالكائي في "شرح السنة"

الثاني : بذكر أن الله في السماء؛ مثل قوله ، صلى الله عليه وسلم: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء" متفق عليه

٢- فعله صلى الله عليه وسلم فمثل رفع أصبعه إلى السماء ، وهو يخطب الناس في في يوم عرفة ، عام حجة الوداع؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "ألا هل بلغت؟" . قالوا: نعم . "ألا هل بلغت؟ ". قالوا: نعم. "ألا هل بلغت؟ قالوا نعم ، وكان يقول: "اللهم اشهد"؛ يشير إلى السماء بأصبعه ، وينكتها إلى الناس "رواه مسلم

ومن ذلك رفع يديه إلى السماء في الدعاء.

وأما التقرير؛ ففي حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه؛ أنه أتى بجارية يريد أن يعتقها ، فقال لها النبي ، صلى الله عليه وسلم: "أين الله؟" . قالت: في السماء . فقال: "من أنا؟" . قالت: رسول الله . قال: "أعتقها؛ فإنها مؤمنة" رواه مسلم

ثالثاً: الإجماع؛ فقد أجمع السلف على أن الله تعالى بذاته في السماء ، من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، إلى يومنا هذا. فقد أمروا النصوص الكتاب والسنة مع تكرار العلو فيها، والفوقية ونزول الأشياء منه وصعودها إليه دون أن يأتوا بما يخالفها، وهذا إجماع منهم على مدلولها.

رابعاً: دلالة العقل: إن العلو صفة كمال باتفاق العقلاء ، وإذا كان صفة كمال؛ وجب أن يكون ثابتاً لله؛ لأن كل صفة كمال مطلقة؛ فهي ثابتة لله.

خامساً: دلالة الفطرة: فإن الله تعالى فطر الخلق كلهم العرب، والعجم حتى البهائم على الإيمان به وبعلوه فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو وارتفاع قلبه إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يمينا، ولا شمالا، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء

الآية الأولى: قوله: { يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ }

قوله (إني متوفيك): ذكر العلماء فيها ثلاثة أقوال:

الأول: (متوفيك)؛ بمعنى قابضك ، ومنه قولهم: توفى حقه؛ أي: قبضه.

الثاني: (متوفيك): منيمك؛ لأن النوم وفاة؛ كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى)

الثالث: (متوفيك): مميتك ، ومنه قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا)

والقول بأن ﴿متوفيك﴾ متوفيك بمعنى مميتك بعيد؛ لأن عيسى عليه السلام لم يمت، وسينزل في آخر الزمان؛ قال الله تعالى: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) أي: قبل موت عيسى وذلك إذا نزل في آخر الزمان .

والجمع بين وفاة القبض ووفاة النوم ، إنه قبضه حال نومه؛ أي أن الله تعالى ألقى عليه النوم؛ ثم رفعه ، ولا منافاة بين الأمرين.

الآية الثانية: قوله: { بل رفعه الله إليه }

فإنه صريح بأن الله تعالى عال بذاته، إذ الرفع إلي الشيء يستلزم علوه.

الآية الثالثة: قوله: { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه }

وهذا يدل على أن الله عال بذاته، لأن الأشياء تصعد إليه وترفع.

الآية الرابعة: قوله: (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلي إله موسي وإني لأظنه كاذباً }

لأن موسى قال له: أن الله في السماء. فموه فرعون على قومه بطلب بناء هذا الصرح العالي ليرقى عليه ثم يقول: لم أجد أحداً.

ويحتمل أنه قاله على سبيل التهكم، يقول: إن موسى قال: إلهه في السماء، اجعلونا نرقى لنراه !! تهكماً.
وقوله فرعون (وإني لأظنه كاذباً) للتمويه على قومه، وإلا، فهو يعلم أن موسى عليه السلام صادق
وهذا يدل على أن علو الله تعالى ذاتياً قد جاءت به الشرائع السابقة.

الآية الخامسة والسادسة: قوله: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ *أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ }

والذي في السماء هو الله عز وجل، وهو دليل على علو الله بذاته، لكنه كنى عن نفسه بهذا، لأن المقام مقام إظهار عظمته، وأنه فوقكم، قادر و مسيطر و مهيمن عليكم، لأن العالي له سلطة على من تحته.

مسألة : قوله تعالى {أأمنتم من في السماء} فإن (في) لاتفيد الظرفية هنا ، أي أن الله داخل السماء – تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا–

ولأهل السنة في تفسير الآية معنيين :

الأول : (في السماء) السماء بمعنى العلو، فيكون المعنى أي: من في العلو.

الثاني : (في) بمعنى (على) ، مثل قوله تعالى :{وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ }أي: على جذوع النخل.

فيكون معني (من في السماء) ، أي: من على السماء.

مسألة : لا تعارض فيما تقرر في قوله تعالى{أأمنتم من في السماء} وفي قوله تعالى : {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } وقوله: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ يعلم سركم وجهركم } فقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ }(في السماء)و(في الأرض)الظرف هنا لألوهيته، يعني: أن ألوهيته ثابتة في السماء وفي الأرض، كما تقول: فلان أمير في المدينة ومكة، فهو نفسه في واحدة منهما، وفيهما جميعاً بإمارته وسلطته، فالله تعالي ألوهيته في السماء وفي الأرض، وأما هو عز وجل ففي السماء.

وقوله: (وهو الله في السموات وفي الأرض) فمثلها، أي : (وهو الله)، الإله الذي ألوهيته في السماوات وفي الأرض، أما هو نفسه، ففي السماء.

فيكون المعنى: هو المعبود في السماوات والمعبود في الأرض، فألوهيته في السماوات وفي الأرض.

ومن ثمرات الإيمان بعلو الله إذا علم العبد بأن الله تعالى فوق كل شيء، فإنه يعرف مقدار سلطانه وسيطرته على خلقه، وحينئذ يخافه و يعظمه، وإذا خاف الإنسان ربه وعظمه، فإنه يتقيه ويقوم بالواجب ويدع المحرم.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاخَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ ، ﴿ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

في هذه الآيات إثبات معية الله تعالى لخلقه، وناسب ذكرها بعد العلو؛ لأنه قد يبدو للعبد أن هناك تناقضاً بين كونه فوق كل شيء وكونه مع العباد، فناسب ذكر الآيات المثبتة لمعية الله للخلق بعد ذكر آيات العلو.

وفي معية الله تعالى لخلقه مسائل:

المسألة الأولى :في أقسامها :

تنقسم معية الله عز وجل إلى قسمين:

الأول :معية عامة :وهي هي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر . ودليلها قوله تعالى: (وهو معكم أين ما كنتم)

الثاني :معية خاصة : وتنقسم إلى قسمين:

معية مقيدة بوصف، مثل قوله تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

معية مقيدة بشخص معين، مثل قوله تعالى عن نبيه: (لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) وقال لموسى وهارون: (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)

وأخص أنواع المعية ما قيد بشخص ، ثم ما قيد بوصف، ثم ما كان عاماً.

المسألة الثانية :المعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته،والمعية الخاصة بنوعيها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد.

المسألة الثالثة : لفظ المعية المضاف إلى الله مستعمل في حقيقته لا في مجازه، غير أن معية الله لخلقه معية تليق به، فليست كمعية المخلوق للمخلوق بل هي أعلى، وأكمل، ولا يلحقها من اللوازم والخصائص ما يلحق معية المخلوق للمخلوق.

وما جاء عن السلف من عبارات أنهم يفسرونها بلازمها فيقولون: إنها كناية عن العلم وعن السمع والبصر والقدرة وما أشبه ذلك ، فيجعلون معنى قوله: (وهو معكم) أي: وهو عالم بكم سميع لأقوالكم ، بصير بأعمالكم ، قادر عليكم حاكم بينكم ،إنما كان غرضهم به: الردّ على حلولية الجهمية، الذين قالوا: إن الله بذاته في كل مكان

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذه الرسالة أنها على حقيقتها ، وأن كونه معنا حق على حقيقته ، لكن ليست معيته كمعية الإنسان للإنسان التي يمكن أن يكون الإنسان مع الإنسان في مكانه؛ لأن معية الله عز وجل ثابتة له وهو في علوه؛ فهو معنا وهو عال على عرشه فوق كل شيء ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون معنا في الأمكنة التي نحن فيها.

وقد عقد المؤلف فصلاً خاصاً سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، في أنه لا منافاة بين العلو والمعية، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فهو علي في دنوه، قريب في علوه.

المسألة الرابعة : المعية العامة، صفة ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال محيطاً بالخلق علماً وقدرة وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته.

و المعية الخاصة، صفة فعلية، لأنها تابعة لمشيئة الله

والقاعدة في الصفات :أن كل صفة مقرونة بسبب هي من الصفات الفعلية

آيات المعية:

الآية الأولى: قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

والشاهد فيها قوله: (**وهو معكم أين ما كنتم**) وهذه من المعية العامة؛ لأنها تقتضي الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسلطاناً وسمعاً وبصراً وغير ذلك من معاني الربوبية.

الآية الثانية: قوله: { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

والشاهد فيها قوله (**إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ**) وهذه من المعية عامة؛ لأنها تشمل كل أحد: المؤمن ، والكافر، والبر، والفاجر ، ومقتضاها الإحاطة بهم علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً وغير ذلك.

الآية الثالثة: {لا تحزن إن الله معنا}

وهذه من المعية الخاصة المقيدة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، وتقتضي مع الإحاطة التي هي المعية العامة النصر والتأييد.

الآية الرابعة: قوله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }

و هذه من المعية الخاصة، وهو السمع والرؤية، التي تقتضيان النصر والتأييد والحماية من فرعون الذي قالا عنه: (إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) .

الآية الخامسة والسادسة والسابعة: قوله: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}قوله: { وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } قوله { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } .

فالمعية في هذه الآيات معية خاصة مقيدة بصفة: فكل من كان من المتقين المحسنين الصابرين؛ فالله معه.

فيثمر للعبد الحرص على الإحسان والتقوى والصبر؛ فإن كل إنسان يحب أن يكون الله معه.

ومن ثمرات الإيمان بمعية الله لخلقه:

أولاً: الإيمان بإحاطة الله عز وجل بكل شيء ، وأنه مع علوه فهو مع خلقه، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم أبداً.

ثانياً: إذا علم العبد ذلك وآمن به؛ فإن ذلك يوجب له كمال مراقبته بالقيام بطاعته وترك معصيته؛ بحيث لا يفقدنه حيث أمره ، ولا يجده حيث نهاه ، وهذه ثمرة عظيمة لمن آمن بهذه المعية.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ، ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ، ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ، ﴿ مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴿ ، } نَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ ، }وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴿، وَقَوْلُه: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾

في هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله تعالى

وعقيدة أهل السنة والجماعة : أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء ، كيف شاء، بما شاء ، بحرف وصوت، لا يماثل أصوات المخلوقين.

فقولهم :"**متى شاء**": باعتبار الزمن ،و "**بما شاء**":باعتبار الكلام؛ يعني: موضوع الكلام من أمر أو نهي أو غير ذلك ،و"**كيف شاء**": يعني على الكيفية والصفة التي يريدها سبحانه وتعالى.

الآية الأولى والثانية: قوله: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً }وقوله { ومن أصدق من الله قيلاً }

إثبات صفة الكلام لله تعالى في هاتين الآيتين تؤخذ من: قوله:(**أصدق**)لأن الصدق يوصف به الكلام ، وقوله: (**حديثاً**) لأن الحديث هو الكلام.

ومن قوله في الآية الثانية: (**قيلاً**) يعني: قولاً ، والقول لا يكون إلا باللفظ.

ففيهما إثبات الكلام لله عز وجل، وأن كلامه حق وصدق

الآية الثالثة: قوله: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ }

في هذه الآية إثبات أن الله يقول، وأن قوله مسموع، فيكون بصوت ، وأن قوله كلمات وجمل ، فيكون بحرف.

فقوله { وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم }: هذه حروف ،وبصوت؛ لأن عيسى يسمع ما قال، ولا يماثل أصوات المخلوقين؛ لأن الله قال: { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}

الآية الرابعة: قوله: { وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً }

وصفت الكلمات بالصدق والعدل . إذا؛ فهي أقوال؛ لأن القول هو الذي يقال فيه: كاذب أو صادق.

وتمت كلمات الله عز وجل على هذين الوصفين: الصدق والعدل، صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام.

الآية الخامسة: قوله: { وكلم الله موسى تكليماً }

كلام الله عز وجل لموسى كلام حقيقي ، بحرف وصوت سمعه ، ولهذا جرت بينهما محاورة؛ كما في سورة طه وغيرها.

الآية السادسة: قوله: (منهم من كلم الله)

أي: من الرسل كلمه الله، وهو ظاهر في اثبات الكلام لله عز وجل

الآية السابعة: قوله: وقوله: { ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه } .

دلت الآية على أن الكلام يتعلق بمشيئته سبحانه ، وذلك لأن الكلام صار حين المجيء. ، لا سابقاً عليه، فدل هذا على أن كلامه يتعلق بمشيئته

الآية الثامنة: قوله:: { وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا }

والمناداة تكون للبعيد ، والمناجاة تكون للقريب وكلاهما كلام.

وكون الله عز وجل يتكلم مناداة ومناجاة داخل في قول السلف: "كيف شاء".

ففي الآية ما يدل على أن الله يتكلم كيف شاء مناداة كان الكلام أو مناجاة.

الآية التاسعة: قوله: { وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين }

والشاهد قوله: (وإذ نادى ربك موسى): فسر النداء بقوله: (أن ائت القوم الظالمين).

فالنداء يدل على أنه بصوت، و (أن ائت القوم الظالمين): يدل على أنه بحرف.

الآية العاشرة: قوله: (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة }

قوله سبحانه (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة): يدل على أن الله كلمهما من قبل، وأن كلام الله بصوت وحرف، و يتعلق بمشيئته؛ لقوله: (ألم أنهكما)؛ فإن هذا القول بعد النهي، فيكون متعلقاً بالمشيئة.

الآية الحادية عشرة: قوله: {ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين}

في هذه الآية إثبات الكلام من وجهين: النداء والقول.

قوله ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ ، ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

في هذه الآيات اثبات أن القرآن كلام الله.

وهذه المسألة وقع فيها النزاع الكثير بين المعتزلة وأهل السنة ، وحصل بها شر كثير على أهل السنة ، وممن أوذي في الله في ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة، الذي قال فيه بعض العلماء: "إن الله سبحانه وتعالى حفظ الإسلام بأبي بكر يوم الردة، وبالإمام أحمد يوم المحنة".

وسبب المحنة: هو أن المأمون خليف المسلمين في زمن الإمام أحمد أجبر الناس على أن يقولوا بخلق القرآن ، حتى إنه صار يمتحن العلماء ويقتلهم إذا لم يجيبوا ، وأكثر العلماء رأوا أنهم في فسحة من الأمر، وصاروا يتأولون،إما بأن الحال حال إكراه ، والمكره إذا قال الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان؛ فإنه معفو عنه.

وإما بتنزيل اللفظ على غير ظاهره؛ يتأولون، فيقولون مثلاً: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور؛ هذه مخلوقة . وهو يتأول أصابعه.

أما الإمام أحمد ومحمد بن نوح رحمهما؛ فأبيا ذلك، وقالا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

ورأيا أن الإكراه في هذا المقام لا يسوغ لهما أن يقولا خلاف الحق؛ لأن المقام مقام جهاد ، والإكراه يقتضي العفو إذا كانت المسألة شخصية؛ أما إذا كانت المسألة لحفظ شريعة الله؛ فالواجب أن يجود الإنسان بنفسه لحفظ شريعة الله عز وجل .

فلو قال الإمام أحمد في ذلك الوقت: إن القرآن مخلوق ، ولو بتأويل أو لدفع الإكراه؛ لقال الناس كلهم: القرآن مخلوق! وحينئذ يضل الناس من أجل دفع الإكراه، لكنه رحمه الله صمد وصبر على العذاب ، فصارت العاقبة له ولأهل السنة ، ولله الحمد.

وعقيدة أهل السنة في القران أنه كلام الله ، منزل ، غير مخلوق منه بدأ ، وإليه يعود.

قولهم: (**كلام الله**): دليله: قوله تعالى { فأجره حتى يسمع كلام الله }، وبما ذكره المؤلف من الآيات

وقولهم: (**منزل**): دليله قوله تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن } ،وقوله:{ إنا أنزلناه في ليلة القدر } ، وقوله: {وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً }

وقولهم: (**غير مخلوق**) دليله: قوله تعالى: { ألا له الخلق والأمر } فجعل الخلق شيئاً والأمر شيئاً آخر؛ لأن العطف يقتضي المغايرة ، والقرآن من الأمر؛ بدليل قوله تعالى: { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا }فإذا كان القرآن أمراً ، وهو قسيم للخلق؛ صار غير مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقاً؛ ما صح التقسيم.

وقولهم: (منه بدأ) أي: هو الذي ابتدأ به، وتكلم به أولاً.

والقرآن أضيف إلى الله وإلى جبريل وإلى محمد ، صلى الله عليه وسلم .

مثال إضافته إلى الله قول الله عز وجل: {فأجره حتى يسمع كلام الله } ، فيكون منه بدأ؛ أي: من الله جل جلاله

ومثال إضافته إلى جبريل-: قوله تعالى: {إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين}

ومثال إضافته إلى محمد عليه الصلاة والسلام -: قوله: { إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر } و أضيف إليهما لأنهما يبلغانه، لا لأنهما ابتدأاه.

وقولهم: "**وإليه يعود**": في معناه وجهان:

الأول: أنه يرفعه الله إليه ، فيصبح الناس ليس بين أيديهم قرآن؛ لا في صدورهم ، ولا في مصاحفهم

الثاني: أنه يعود إلى الله وصفاً؛ أي أنه لا يوصف به أحد سوى الله فيكون المتكلم بالقرآن هو الله عز وجل، وهو الموصوف به. و المعنيان كلاهما صحيح.

وقد ذكر المؤلف الآيات الدالة على أن القرآن كلام الله في آيات متعددة.

الآية الأولى: قوله: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)

قوله: (كلام الله): أضاف الكلام إلى نفسه ، فقال: (كلام الله) ، فدل هذا على أن القرآن كلام الله، وهو كذلك.

الآية الثانية: قوله: (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)

الشاهد في قوله (يسمعون كلام الله): يحتمل أن يراد به القرآن ، وهو ظاهر صنيع المؤلف، فيكون دليلاً على أن القرآن كلام الله ، و لم أر هذا الاحتمال لأحد من المفسرين.

ويحتمل أن يراد به كلام الله تعالى لموسى حين اختار موسى سبعين رجلاً لميقات الله تعالى، فكلمه الله وهم يسمعون ، فحرفوا كلام الله تعالى من بعدما عقلوه وهم يعلمون.

و أيا كان؛ ففيه إثبات أن كلام الله بصوت مسموع ، والكلام صفة المتكلم ، وليس شيئاً بائناً منه؛ فوجب أن يكون القرآن كلام الله لا كلام غيره.

الآية الثالثة {يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل}

في الآية إثبات أن القرآن كلام الله؛ لقوله: (يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل). والضمير يعود على الأعراب الذين قال الله فيهم: (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ) و أرادوا أن يبدلوا كلام الله ،

وفي الآية إثبات القول لله تعالى؛ لقوله: (كذلكم قال الله من قبل) .

الآية الرابعة: قوله: (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته)

الشاهد في قوله: (ما أوحي إليك)؛أي: القرآن ، والوحي لا يكون إلا قولاً؛ فهو إذا غير مخلوق.

وفي قوله: (لكلماته) دليل على أن القرآن كلام الله تعالى.

الآية الخامسة: قوله: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

الشاهد في قوله: (يقص)، والقصص لا يكون إلا قولاً؛ فإذا كان القرآن هو الذي يقص؛ فهو كلام الله ؛ لأن الله تعالى هو الذي قص هذه القصص؛ قال الله سبحانه وتعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) وحينئذ يكون القرآن كلام الله عز وجل.

ومن ثمرات الايمان بأن القران كلام رب العالمين

إذا علم العبد أن هذا القرآن تكلم به رب العالمين؛ أوجب له ذلك تعظيم هذا القرآن ، واحترامه ، وامتثال ما جاء فيه من الأوامر ، وترك ما فيه من المنهيات والمحذورات ، وتصديق ما جاء فيه من الأخبار عن الله تعالى وعن مخلوقاته السابقة واللاحقة.

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ ، ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ | قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ | وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾

في هذه الآيات اثبات أن القرآن منزل من الله تعالى

الآية الأولى: قوله: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ)

والشاهد في قوله: (أنزلناه). وثبوت نزوله من الله دليل على أنه كلامه.

الآية الثانية: قوله: {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله}

والدلالة فيها ظاهرة

الآية الثالثة والرابعة والخامسة: قوله: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ *قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ *وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)

والشاهد فيها قوله: {والله أعلم بما ينزل} ، وقوله: {قل نزله روح القدس من ربك}، وقوله {وهذا لسان عربي مبين}. وكل هذه تدل على أن القرآن كلام الله تعالى منزل من عنده.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ | إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ ، ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ،

في هذه الآيات [٣]إثبات أن الله يرى بالأبصار ويتضمن إثبات صفة التجلي لله سبحانه وتعالى فعند أهل السنة والجماعة أنه سبحانه يرى بالابصار ولا يلزم من أنه يرى إدراكه سبحانه والإحاطة به ؛ لأن الله تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)

[٣] - ساق المؤلف هذه الآيات لإثبات صفة التجلي لله سبحانه وتعالى ،فهو سبحانه يتجلى لعباده المؤمنين فيرونه يوم القيامة وليس المراد به إثبات مسألة رؤية المؤمنين لربهم

لأن شيخ الإسلام ذكر هذه الآيات المثبتة لأسماء الله وصفاته بعد قوله :(وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمىَّ به نفسه بين النفي والإثبات) ثم قال (وقد دخل في هذه الجملة) ثم سرد جملة من الآيات المثبتة لأسماء الله وصفاته أوالمنفية عنه جل وعلا.

و رؤية المؤمنين لربهم يو القيامةليست من صفاته سبحانه وتعالى وبهذا نعلم خطأ كثير من الشراح حين يجعلون هذه الآيات التي أوردها المصنف رحمه الله لإثبات رؤية المؤمنين لربهم

وعليه فالذي أراده شيخ الإسلام من إيراد هذه الأيات هو إثبات صفة(التجلي) لله عز وجل ، وأما أثبات الرؤية فقد ذكرها فيما بعد ومما جاء في السنة من إثبات صفة التجلي لله رب العالمين مارواه الإمام أحمد أفي مسنده، ومسلم في "صحيحه"، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "كتاب السنة"؛ من حديث أبي الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يسأل عن الورود؛ قال: «نحن يوم القيامة على كذا فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك. فيتجلى لهم يضحك» ... الحديث.

وروى: الإمام أحمد، وابنه عبد الله في "كتاب السنة"، وأبو بكر الآجري في "كتاب الشريعة"؛ عن أبي موسى رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتجلى لنا ربنا يوم القيامة ضاحكا.

قوله ﴿ وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ ﴾

(وهذا الباب) : أي إلى باب الأسماء والصفات.(في كتاب الله كثير) ؛ فما من آية من كتاب الله؛ إلا وتجد فيها غالباً اسماً من أسماء الله ، أو فعلاً من أفعاله ، أو حكماً من أحكامه

بل كل آية في كتاب الله فهي صفة من صفات الله؛ لأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل؛ فكل آية منه؛ فهي صفة من صفات الله عز وجل.

(الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من السنة)

فَصْلٌ

ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِك .

السنة :قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وإقراره.

قوله (**فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ**) أي : توضح المعنى المراد منه: كما في تفسير قوله تعالى:(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها النظر إلى وجه الله عز وجل

قوله (**وتُبَيِّنُهُ**) أي :تبين السنة المجمل من القران؛ حيث إن في القرآن آيات مجملة، لكن السنة بينتها ووضحتها؛ مثل: قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ) أمر الله بإقامتها، وبينت السنة كيفيتها.

قوله (**وتَدُلُّ عَلَيْهِ**) بالتفسير والتبيين والتعبير.

قوله (**وتُعَبِّرُ عَنْهُ**) أي: تأتي بمعان جديدة أو بأحكام ليست في القرآن، فإن كثيراً من الأحكام الشرعية استقلت بها السنة، و لم يأت به القرآن.

فالسنة مقامها مع القرآن على أنواع أربعة: تفسير مشكله، وتبيين مجمله، وتدل عليه، وتعبر عنه.

قوله (ما وصف الرسول به ربه عز وجل) أي وجب الإيمان بما وصف الرسول به ربه، وكذلك ما سمى به ربه؛ لأن هناك أسماء مما سمى به الرسول ربه لم تكن موجودة في القرآن؛ مثل (الشافي).

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك" متفق عليه

واسم "الرب": لم يأت في القرآن بدون إضافة لكن ورد في السنة بدون إضافة مثل قوله صلى الله عليه وسلم " أما الركوع فعظموا فيه الرب" رواه مسلم

وقال في السواك:" مطهرة للفم مرضاة للرب" رواه البخاري

ولقبول الإيمان بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصفه لربه ،اشترط المؤلف رحمه أن الوارد عنه **"من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول"**

وقوله: " **التي تلقاها**": هذا بيان لحال الأحاديث الصحيحة أي أن أهل المعرفة تلقوها بالقبول لأنه من المستحيل أن تكون الأحاديث صحيحة، ثم يرفضها أهل المعرفة، بل سيقبلونها.

قوله:" **وجب الإيمان بها كذلك**": أي وجب الإيمان بماورد عن رسول الله مما وصف به ربه كما وجب الإيمان بما في القرآن؛ من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف، لا تمثيل.

لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } وقوله تعالى { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ } (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ).

مسألة : موقف أهل الأهواء والبدع تجاه الأحاديث الواردة في الصفات المخالفة لأهوائهم يدور على أمرين:

الأول : التكذيب

فإن كان يمكنهم تكذيب الخبر الوارد عنه صلى الله عليه وسلم ؛ كذبوه؛ كقولهم في القاعدة الباطلة: أخبار الآحاد لا تقبل في العقيدة

الثاني : التحريف ،وإن كان لا يمكنهم تكذيبه؛ حرفوه؛ كما حرفوا نصوص القرآن.

أما أهل السنة؛ فقبلوا كل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمور العلمية والأمور العملية؛ لقيام الدليل على وجب قبول ذلك.

قوله (فَمِنْ ذَلِكَ: مِثْلُ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

في هذا الحديث إثبات نزول الله إلى السماء الدنيا

قوله:" **ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**": ونزوله تعالى حقيقي ،لأن كل شيء عاد الضمير فيه إلى الله؛ فهو ينسب إليه حقيقة.

فنقر جازمين مصدقين أنه ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، وهي أقرب السماوات السبع إلى الأرض.

والمراد بالنزول هنا نزول الله نفسه، ولا نحتاج أن نقول: بذاته؛ ما دام الفعل أضيف إليه؛ فهو له.

لكن قيده بعض أهل السنة بأنه (**ينزل بذاته**) على سبيل الاضطرار وكشف التلبيس ،لأن هناك من أهل البدع من حرفوا الحديث وقالوا: الذي ينزل أمر الله! وقال آخرون منهم: بل الذي ينزل رحمة الله! وقال آخرون: بل الذي ينزل ملكٌ من ملائكة الله!

وهذا باطل؛ فإن نزول أمر الله دائماً وأبداً، ولا يختص نزوله في الثلث الأخير من الليل.

قال الله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) وقال: (يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ)

وكذلك من قال: إنه ملك من ملائكته: فليس من المعقول أن الملك من ملائكة الله يقول: من يدعوني فأستجب له... ؟

فتبين بهذا أن هذه الأقوال تحريف باطل يبطله الحديث.

ومن الصفات الثابتة هذا الحديث:

أولاً: إثبات العلو لله من قوله:" ينزل"

ثانياً: إثبات الأفعال الاختيارية التي هي الصفات الفعلية من قوله: " ينزل حين يبقى ثلث الليل الآخر".

ثالثاً: إثبات القول لله من قوله:"يقول".

رابعاً: إثبات الكرم لله عز وجل من قوله:" من يدعوني...من يسألني... من يستغفرني...".

ومن ثمرات الإيمان بنزول الرب سبحانه إلى السماء الدنيا كل ليلة أن يغتنم العبد هذا الجزء من الليل، فيسأل الله عز وجل ويدعوه ويستغفره.

* * *

وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

في هذال الحديث إثبات صفة الفرح لله عز وجل ، وهو فرح حقيقي يليق بجلال الله وعظمته، و لا يماثل فرحالمخلوقين.

والحديث عند مسلم بلفظ " **لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**" فلم يملك كيف يتصرف في الكلام

فالله عز وجل أفرح بتوبته عبده إذا تاب إليه من هذا الرجل براحلته، وليس الله عز وجل بمحتاج إلى توبتنا ، بل نحن مفتقرون إليه في كل أحوالنا ، لكن لكرمه جل وعلا ومحبته للإحسان والفضل والجود يفرح هذا الفرح الذي لا نظير له بتوبة الإنسان إذا تاب إليه.

ويستفاد من هذا الحديث من الصفات مع إثبات الفرح لله عز وجل: كمال رحمته جل وعلا ورأفته بعباده؛ حيث يحب رجوع العاصي إليه

ومن ثمرت الإيمان بصفة الفرح إنه إذا علم العبد أن الله يفرح بتوبته هذا الفرح الذي لا نظير، حرص العبد على التوبة غاية الحرص، كلما فعل ذنباً؛ تاب إلى الله منه.

* * *

وَقَوْلُهُ: صلى الله عليه وسلم : (يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

في الحديث إثبات صفة الضحك لله رب العالمين، وهو ضحك حقيقة، يليق بجلال وعظمته، ولا يماثل ضحك المخلوقين.

وتمام الحديث:" **فقالوا: كيف يا رسول الله، قال: يقاتل هذا في سبيل الله عز وجل فيستشهد، ثم يتوب الله على القاتل، فيسلم، فيقاتل في سبيل الله عز وجل فيستشهد**"

ومن ثمرات الإيمان بصفة الضحك أن العبد إذا علم أن الله عز وجل يضحك؛ فإنه يرجو منه كل خير.

ولهذا قال أبورزين للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ! أو يضحك ربنا؟ قال: "نعم" قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً"رواه أحمد

وَقَوْلُهُ: (عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ) . حَدِيثٌ حَسَنٌ . رواه أحمد

في الحديث إثبات صفة العجب لله عز وجل

والعَجَب: هو استغراب الشيء، ويكون لسببين:

الأول: خفاء الأسباب على المستغرب للشيء المتعجب منه؛ بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهذا مستحيل على الله تعالى؛ لأن الله بكل شيء عليم ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والثاني: أن يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره وعما ينبغي أن يكون عليه بدون قصور من المتعجب؛ بحيث يعمل عملاً مستغرباً لا ينبغي أن يقع من مثله.

وهذا ثابت لله عز وجل؛ لأنه ليس عن نقص من المتعجب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجب منه.

قوله:" **عجب ربنا من قنوط عباده**": القنوط: أشد اليأس ،ويعجب الرب عز وجل من دخول اليأس الشديد على قلوب العباد مع (**قُرْبِ غِيْرِهِ**) فيغير الحال إلى حال أخرى بكلمة واحدة، وهي: كن فيكون." **ينظر إليكم أزلين**" الأزِل : الواقع في الشدة "**قنطين**": من الفرج وزوال الشدة"**فيظل يضحك**" سبحانه من هذه الحال العجيبة الغريبة؛ كيف يقنط العبد من رحمة أرحم الراحمين الذي يقول للشيء كن فيكون؟! " **يعلم أن فرجكم قريب**"؛ أي: زوال شدتكم قريب.

في هذا الحديث عدة صفات:

-أولاً: العَجَب؛ لقوله:" عجب ربنا من قنوط عباده".

وقد دل على هذا الصفة القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) على قراءة ضم التاء.

ثانياً: بيان قدرة الله عز وجل؛ لقوله:" وقرب غيره"، وأنه عز وجل تام القدرة، إذا أراد غير الحال من حال إلى ضدها في وقت قريب.

ثالثاً: إثبات النظر؛ لقوله:" ينظر إليكم".

رابعاً: إثبات الضحك؛ لقوله:" فيظل يضحك".

خامساً: اثبات العلم؛ " يعلم أن فرجكم قريب".

سادساً: إثبات الرحمة، لأن الفرج من الله دليل على رحمة الله بعبادة.

ومن ثمرات الإيمان بما جاء في الحديث : أن العبد إذا علم ذلك من الله سبحانه وتعالى؛ حذر من القنوط من رحمة الله ، ولهذا كان القنوط من رحمة الله من الكبائر،قال الله تعالى: (قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) وقال تعالى:(وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)

والواجب على العبد أن يحسن الظن بربه؛ إن دعاه أحسن الظن به بأنه سيجيبه، وإن تعبد له بمقتضى شرعه؛ أحسن الظن بأن الله سوف يقبل منه.

وإن وقعت به شدة؛ أحسن الظن بأن الله سوف يزيلها، ويعوضه كل خير

* * *

وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : (لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

في الحديث إثبات صفة الرجل و القدم لله تعالى وهي رجل وقدم حقيقية لا تماثل أرجل المخلوقين وهي من الصفات الذاتية الخبرية

وقوله:" **فيتزوي بعضها إلى بعض**"؛ يعني: ينضم بعضها على بعض من عظمة قدم الباري عز وجل.

وقوله: " **وتقول: قط قط**"؛ بمعنى: حسبي حسبي؛ يعني: لا أريد أحداً.

وَقَوْلُه صلى الله عليه وسلم : يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

في هذا الحديث إثبات صفة الكلام والصوت لله سبحانه وتعالى

وقوله (تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) أي : ميز أهل النار من غيرهم، وقد جاء في رواية في الصحيحين قال: "يارب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين"

وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ"

في الحديث إثبات صفة الكلام لله رب العالمين ،وأنه بصوت مسموع مفهوم.

وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: (رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأُ) . حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[٤]

في هذا الحديث إثبات صفة العلو لله تعالى

الحوب: كبائر الإثم.

قوله "أنزل رحمة من رحمتك": الرحمة نوعان:

١- رحمة هي صفة الله؛ فهذه غير مخلوقة وغير بائنة من الله عز وجل؛ مثل قوله تعالى: (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ) ، ولا يطلب نزولها.

[٤] - قال الشيخ ابن باز –رحمه الله– في تعليقه على الواسطية " الحديث سنده ضعيف ولا أعلم له طرقا اخرى صحيحه ،ولعل المؤلف اطلع على طرق فيكون من باب الحسن لغيره ، وحتى ولو لم يثبت الحديث فالآيات والأحاديث الصحيحة تكفي عنه ".

٢- رحمة مخلوقة، لكنها أثر من آثار رحمة الله؛ فأطلق عليها الرحمة؛ مثل قوله تعالى في الحديث القدسي عن الجنة: "أنت رحمتي أرحم بك من أشاء" متفق عليه

كذلك الشفاء؛ فالله شاف، ومنه الشفاء؛ فوصفه الشفاء، وهو فعل من أفعاله، وهو بهذا المعنى صفة من صفاته، وأما باعتبار تعديه إلى المريض؛ فهو مخلوق من مخلوقاته؛ فإن الشفاء زوال المرض.

وَقَوْلُهُ: (أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ) . حَدِيثٌ صَحِيحٌ متفق عليه

في الحديث إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى

و سبب الحديث وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم قطعة من الذهب بعث بها علي من اليمن بين أربعة نفر، فقال له رجل: نحن أحق بهذا من هؤلاء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء".

وَقَوْلُهُ: (وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ

في الحديث إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى

قوله : "والعرش فوق الماء".يشهد له قوله تعالى: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)

وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ :أَيْنَ اللهُ؟ . قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ . قَالَ: (مَنْ أَنَا ؟) . قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ . قَالَ: (أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

في الحديث إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى

وَقَوْلُهُ: (أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ) حَدِيثٌ حَسَنٌ رواه الطبراني

في هذا الحديث إثبات معية الله لخلقه

وَقَوْلُهُ: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

في هذا الحديث إثبات كون الله قبل وجه المصلى

قوله " قبل وجهه" يعني: أمامه ،قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)

ومن ثمرات الايمان بما جاء في الحديث وجوب الأدب مع الله عز وجل و أنه متى آمن المصلي بذلك فإنه يحدث له خشوعاً وهيبة من الله عز وجل.

وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : (اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ) . رواه مسلم

في هذا الحديث إثبات صفة العلو لله عزو جل

والشاهد من الحديث قوله:" " وأنت الظاهر؛ فليس فوقك شيء": والظاهر من الظهور، وهو العلو؛ كما قال تعالى: (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً) يَظْهَرُوهُ)؛ أي: يعلو عليه.

وفي هذا الحديث أسماء وصفات:

فمن الأسماء: الأول، والآخر، والظاهر ، والباطن.

ومن الصفات: الأولية والآخرية، وفيهما الإحاطة الزمانية.

والظاهرية والباطنية، وفيهما الإحاطة المكانية.

ومنها: العلو، وعموم ربوبيته، وتمام قدرته.

ومنها: كما رحمته وحكمته بإنزال الكتب؛ لتحكم بين الناس وتهديهم صراط الله.

وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: (أَيُّهَا النَّاسُ ! أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا . إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

في الحديث إثبات قرب الله تعالى

ولا منافاة بين القرب والعلو؛ فالرب عز وجل قريب مع علوه، أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته.

وفي الحديث الصفات السلبية: نفي كونه أصم أو غائباً؛ لكمال سمعه ولكمال بصره وعلمه وقربه.

قَوْلُه (:إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

في الحديث إثبات أن الله سبحانه يرى بالأبصار حين يتجلى لعباده

وقوله:" لا تضامُون في رؤيته" ، وفي لفظ: لا تضامون" وفي لفظ:" لا تضارون":

" لا تضامون": بضم التاء وتخفيف الميم ، أي: يلحقكم ضيم، والضيم الظلم، والمعنى: لا يحجب بعضكم بعضاً عن الرؤية فيظلمه بمنعه إياه. لأن كل واحد يراه.

" لا تضامون": بتشديد الميم وفتح التاء وضمها: يعني: لا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته؛ لأن الشيء إذا كان خفياً؛ ينضم الواحد على صاحبه ليريه إياه.

– أما " لا تضارون" أو "لا تضارُون" فالمعنى: لا يلحقكم ضرر؛ لأن كل إنسان يراه سبحانه وتعالى وهو في غاية ما يكون من الطمأنينة والراحة.

قوله (إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ)

(مكانة أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة)

قوله (بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ؛

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ؛ وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ(وَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ

وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ .

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ.

في هذه الجملة بيان لمكانة أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة واتصافهم بالوسطية

قوله (بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ)

أمة الاسلام وسطاً في الأمم بين الغلو والتقصير.

- ففي حق الله تعالى: كانت اليهود تصف الله تعالى بالنقائص، فتلحقه بالمخلوق. وكانت النصارى تلحق المخلوق الناقص بالرب الكامل. أما هذه الأمة؛ فلم تصف الرب بالنقائص و لم تلحق المخلوق به.

- وفي حق الأنبياء؛ كذبت اليهود عيسى بن مريم ، وكفرت به . وغلت النصارى فيه، حتى جعلته إلهاً. أما هذه الأمة؛ فأمنت به بدون غلو، وقالت: هو عبد الله ورسوله.

وأهل السنة والجماعة وسط بين فرق الأمة كأمة الاسلام بين الديانات الأخرى

ثم ذكر المؤلف – رحمه الله– اصولاً خمسة كان أهل السنة والجماعة فيها وسطاً بين فرق الأمة:

الأصل الأول:في الأسماء والصفات

فقال رحمه الله (فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ)

أهل السنة في باب الأسماء والصفات بين طرفين متطرفين: أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة.

فالجهمية: ينكرون صفات الله عز وجل، بل غلاتهم ينكرون الأسماء ويقولون: لا يجوز أن نثبت لله اسماً ولا صفة؛ لأنك إذا أثبت له اسماً؛ شبهته بالمسميات، أو صفة؛ شبهته بالموصوفات وما أضافه الله إلى نفسه من الأسماء؛ فهو من باب المجاز، وليس من باب التسمي بهذه الأسماء

والمعتزلة ينكرون الصفات ويثبتون الأسماء ،والأشعرية يثبتون الأسماء وسبعاً من الصفات فقط.

وأما أهل التمثيل المشبهة؛ فيثبتون لله الصفات، ويقولون: يجب أن نثبت لله الصفات؛ لأنه أثبتها لنفسه، لكن يقولون: إنها مثل صفات المخلوقين.

فهؤلاء غلو في الإثبات، وأهل التعطيل غلو في التنزيه.

وأما أهل السنة والجماعة؛ فقالوا: نحن نأخذ بالحق الذي مع الجانبين؛ فنأخذ بالحق في باب التنزيه؛ فلا نمثل، ونأخذ بالحق في جانب الإثبات؛ فلا نعطل؛ بل إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل؛ لقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

الأصل الثاني: أفعال العباد

فقال رحمه الله (وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ.)

انقسم الناس في باب القدر إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الجبرية :آمنوا بقدر الله عز وجل، وغلوا في إثبات أفعال الله وقدره، حتى سلبوا الإنسان قدرته واختياره، فالله فاعل كل شيء، وليس للعبد اختيار ولا قدرة، وإنما يفعل الفعل مجبراً عليه ، فهو كالريشة في الهواء

الثاني :القدرية : أنكروا قدر الله في أفعال العباد ، وغلوا في إثبات قدرة العبد ،فالعبد مستقل بفعله ، وليس لله فيه مشيئة ولا تقدير، حتى غلا بعضهم ، فقال إن الله لا يعلم فعل العبد إلا إذا فعله، أما قبل فعله؛ فلا يعلم عنه شيئاً ، وهؤلاء مجوس هذه الأمة.

الثالث: أهل السنة والجماعة: آمنوا بقضاء الله وقدره، وبأن للعبد اختيارا وقدرة، فكل ما كان في الكون من حركة أو سكون أو وجود أو عدم، فإنه كائن بعلم الله تعالى ومشيئته

ولا يمكن أن يكون في ملك الله ما لا يشاء ، والإنسان له اختيار وإرادة، ويفرق بين الفعل الذي يضطر إليه والفعل الذي يختاره؛ فأفعال العباد باختيارهم وإرادتهم ، ومع ذلك؛ فهي واقعة بمشيئة الله وخلقه.

الأصل الثالث: الوعيد

فقال رحمه الله (وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِم) .

- **المرجئة:** فرقة من أهل البدع ،وسموا بذلك لأمرين محتملين:

١-من الرجاء؛ لتغليبهم أدلة الرجاء على أدلة الوعيد.

٢-من الإرجاء؛ بمعنى التأخير لتأخيرهم الأعمال عن مسمى الإيمان.

فقالوا: الأعمال ليست من الإيمان، والإيمان هو الاعتراف بالقلب فقط.

وعندهم إن فاعل الكبيرة كالزاني والسارق وشارب الخمر وقاطع الطريق لا يستحق دخول النار لا دخولاً مؤبداً ولا مؤقتاً؛ فلا يضر مع الإيمان معصية؛ مهما كانت صغيرة أم كبيرة؛ إذا لم تصل إلى حد الكفر.

- **الوعيدية:** وهو الذين غلبوا جانب الوعيد، وقالوا: أي كبيرة يفعلها الإنسان و لم يتب منها، فإنه مخلد في النار بها ، إن سرق؛ فهو من أهل النار خالداً مخلداً، وإن شرب الخمر؛ فهو في النار خالداً مخلداً

وأهل السنة والجماعة قالوا : فاعل الكبيرة مستحق للعذاب ، وإن عذب؛ لا يخلد في النار.

فلا يغلبون جانب الوعيد كما فعل المعتزلة والخوارج، ولا جانب الوعد كما فعل المرجئة،

وسبب الخلاف بين الوعيدية وبين المرجئة: أن كل واحد منهما نظر إلى النصوص بعين عوراء؛ ينظر من جانب واحد.

فالمرجئة نظروا إلى نصوص الوعد، فأخذوا بها وأدخلوا الإنسان في الرجاء ، ،وحملوا نصوص الوعيد على الكفار.

والوعيدية بالعكس؛ نظروا إلى نصوص الوعيد، فأخذوا بها ، وغفلوا عن نصوص الوعد.

فلهذا اختل توازنهم لما نظروا من جانب واحد.

وأهل السنة والجماعة أخذوا بنصوص الوعد والوعيد، وقالوا: نصوص الوعيد محكمة؛ ، ونصوص الوعد محكمة؛ فأخذوا من نصوص الوعد ما ردوا به على الوعيدية، ومن نصوص الوعيد ما ردوا به على المرجئة.

وقالوا: فاعل الكبيرة مستحق لدخول النار؛ لئلا نهدر نصوص الوعيد؛ غير مخلد فيها لئلا نهدر نصوص الوعد.

فأخذوا بالدليلين ونظروا بالعينين.

الأصل الرابع: أسماء الإيمان والدين

فقال رحمه الله (وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ)

هذا الوسطية لأهل السنة في باب الأسماء والدين، والذي قبله في باب الأحكام الذي هو الوعد والوعيد والمقصود بباب الاسماء والدين : فاعل الكبيرة ماذا نسميه؟! هل هو مؤمن أم كافر؟!

وأهل السنة في هذا الباب وسط بين طائفتين: الحرورية والمعتزلة من وجه، والمرجئة والجهمية من وجه فالحرورية والمعتزلة أخرجوا فاعل الكبيرة من الإيمان.

لكن الحرورية قالوا: إنه كافر يحل دمه وماله، ولهذا خرجوا على الأئمة، وكفروا بالناس.

وأما المعتزلة؛ فقالوا: فاعل الكبيرة خرج من الإيمان، و لم يدخل في الكفر؛ فهو في مترلة بين مترلتين.

وأما المرجئة والجهمية :فقالوا: هو مؤمن كامل الإيمان!! يسرق ويزني ويشرب الخمر ويقتل النفس ويقطع الطريق؛ ونقول له: أنت مؤمن كامل الإيمان!! كرجل فعل الواجبات والمستحبات وتجنب المحرمات!! أنت وهو في الإيمان واحد!!

وأما أهل السنة والجماعة؛ فكانوا وسطاً بين هذه الطوائف؛ فقالوا: الذي يفعل الكبيرة هو مؤمن ناقص الإيمان، أو نقول: مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته، وهذا هو العدل

ويترتَّب على هذا أن الفاسق لا يجوز لنا أن نكرهه كرهاً مطلقاً، ولا أن نحبه حباً مطلقاً ، بل نحبه على ما معه من الإيمان، ونكرهه على ما معه من المعصية.

الأصل الخامس: في الصحابة رضي الله عنهم

فقال رحمه الله (وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَ الْخَوَارِجِ).

الصحابي: هو الذي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك

فالرافضة: وهم الذين يسمون اليوم: شيعة، وسموا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي ينتسب إليه الآن الزيدية.

فقد سألوه: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ يريدون منه أن يسبهما ويطعن فيهما! ولكنه رضي الله عنه قال لهم: نعم الوزيران وزيرا جدي. يريد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأثنى عليهما، فرفضوه، وغضبوا عليه ، وتركوه! فسموا رافضة.

وعندهم أن الصحابة كلهم كفار، قد ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ حتى أبو بكر وعمر عند بعضهم كانا كافرين وماتا على النفاق والعياذ بالله ، ولا يستثنون من الصحابة إلا آل البيت ، ونفراً قليلاً ممن قالوا: إنهم أولياء آل البيت.

و غلوا في آل البيت وأشياعهم، وبالغوا في ذلك ، حتى إن منهم من أدعىّ ألوهية علي رضى الله عنه، ومنهم من ادعى انه أحق بالنبوة من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما الخوارج: فقد كفروا علي بن أبي طالب، وكفروا معاوية بن أبي سفيان، وكفروا كل من لم يكن على طريقتهم، واستحلوا دماء المسلمين، فكانوا كما وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام:" يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمِية"، وإيمانهم لا يتجاوز حناجرهم.

أما أهل السنة والجماعة؛ فكانوا وسطاً بين الطائفتين؛ قالوا: فحفظوا لآل البيت مترلتهم، وقاموا بحقهم: حق الإسلام والإيمان، وحق القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . و لم يغلو فيهم .

وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم: لهم الحق بالتوقير والإجلال والترضي، وكانوا معهم كما قال الله تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) فلم يعادوا أحداً منهم أبداً؛ لا آل البيت، ولا غيرهم؛ وأعطوا كل ذي حقا حقه ،فصاروا وسطاً بين جفاة وغلاة.

(الإيمان باستواء الله على عرشه وعلوه على خلقه ومعيته لهم وأنه لاتنافي بينهما)

فَصْلٌ

قوله (وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لا تُوجِبُهُ، اللُّغَةُ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرُ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ .

وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ -مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا -حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ ، أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ؛ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ.)

عقد المؤلف رحمه الله تعالى هذا الفصل في بيان معية الله لخلقه و الجمع بينها وبين علو الله واستوائه على عرشه

قوله (وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ) الإيمان بأسمائه وصفاته ومن ذلك (**الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ**) مما جاء في غير موضع من التصريح بالفوقية، وتارة بالتصريح بالعلو ، وتارة بالتصريح بأنه في السماء، وتارة بنزول الأشياء من عنده، وتارة بصعودها إليه، ونحو ذلك(**وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ**) بالقول والفعل والإقرار (**وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ**) حيث لم ينقل عنهم ضد ما جاء في الكتاب والسنة؛ فإنهم كانوا يقرؤون القرآن وينقلون الأخبار ويعلمون معانيها، ولما لم ينقل عنهم ما يخالف ظاهرها؛ فعلم أنهم

لا يعتقدون سواه، وأنهم مجمعون على ذلك.(**مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ ،كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ**) أي بين العلو والمعية (**فِي قَوْلِهِ: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }**

ففي قوله:(**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**) إثبات العلو.

وفي قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)إثبات المعية.

فجمع بينهما في آية واحدة، ولا منافاة بينهما

ووجه الجمع :أنه سبحانه ذكر استواءه على العرش، ثم قال: (**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**) ، وإذا جمع الله لنفسه بين وصفين؛ فإننا نعلم علم اليقين أنهما لا يتناقضان؛ لأنهما لو تناقضا؛ لاستحال اجتماعهما؛ إذ المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فلا بد من وجود أحدهما وانتفاء الثاني، ولو كان هناك تناقض؛ لزم أن يكون أول الآية مكذباً لأخرها أو بالعكس.

قوله (**وليس معنى قوله: { وَهُوَ مَعَكُمْ } أنه مختلط بالخلق**) لأن هذا المعنى نقص ، فهو سبحانه محيط بالأشياء، غير مختلط بهم

قوله:" **فإن هذا لا توجبه اللغة**"؛ أي إذا كانت اللغة لا توجبه؛ لم يتعين ويجب الاختلاط

و لم يقل: لا تقتضيه اللغة؛ لأن اللغة قد تقتضيه ، وفرق بين كون اللغة تقتضي ذلك وبين كونها توجب ذلك.

فالمعية في اللغة قد تقتضي الاختلاط؛ مثل الماء واللبن؛ تقول: ماء مع لبن، لكن لا توجبه ويصير حتما لازما

قوله "**وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق**" أي الاختلاط وذلك لأن الإنسان مفطور على أن الخالق بائن من المخلوق ، ليس أحد إذا قال: يا الله! إلا ويعتقد أن الله تعالى بائن من خلقه، لا يعتقد أنه حالٌ في خلقه؛ فدعوى أنه مختلط بالخلق مخالف للشرع ومخالف للعقل ومخالف للفطرة.

قوله (بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان)

هذا مثل ضربه المؤلف رحمه اله تقريباً للمعنى وتحقيقاً لصحة كون الشيء مع الإنسان حقيقة مع تباعد ما بينهما، وذلك أن القمر من أصغر المخلوقات، وهو في السماء، ومع المسافر وغيره أينما كان.

فإذا كان هذا المخلوق، وهو من أصغر المخلوقات؛ نقول: إنه معنا، وهو في السماء. ولا يعد ذلك تناقضاً، ولا يقتضي اختلاطاً؛ فلماذا لا يصح أن نجري آيات المعية على ظاهرها، ونقول: هو معنا حقيقة ، وإن كان هو في السماء فوق كل شيء

ولو فرض أن هذا ممتنع في الخلق؛ لكان في الخالق غير ممتنع، فالرب عز وجل هو في السماء حقيقة، وهو معنا حقيقة، ولا تناقض في ذلك، حتى وإن كان بعيداً عز وجل في علوه؛ فإنه قريب في علوه.

وهذا الذي حققه شيخ الإسلام في كتبه: وقال: إنه لا حاجة إلى أن نؤول الآية عن ظاهرها، لكن مع اعتقادنا بأن الله تعالى في المساء على عرشه؛ فهو معنا حقاً، وهو على عرشه حقاً؛ كما نقول: إنه ينزل إلى السماء الدنيا حقاً، وهو في العلو، ولا أحد من أهل السنة ينكر هذا أبداً.

فكل أهل السنة يقولون: هو ينزل حقاً، متفقون على أنه في العلو؛ لأن صفات الخالق ليست مثل صفات المخلوق.

وقد عثرت على تقرير للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله يبين هذا المعنى تماماً؛ إي أن المعية حق على حقيقتها، ولا تستلزم أن يكون مختلطاً بالخلق ، أو أنه في الأرض؛ قال جواباً على قول بعض السلف:" معهم بعلمه"[٥]

مسألة : يجب أن يبتعد عن قول : هو معنا بذاته،لأنه يوهم معنى فاسداً يحتج به من يقول بالحلول، ولا حاجة إليه، لأن الأصل أن كل شيء أضافه الله إلى نفسه؛ فهو له نفسه؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ) هل يحتاج أن نقول: جاء بذاته؟! وإلى قوله صلى الله عليه وسلم:" ينزل إلى السماء الدنيا" ، وهل يحتاج أن نقول: ينزل بذاته؟ّ إننا لا نحتاج إلى ذلك؛ إلا في مجادلة من يدعى أنه جاء أمره أو ينزل أمره؛ لرد تحريفه، وقد تقدم عليها في آيات المعية .

---

[٥] - انظر (مجموع فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ٢١٢/١).

قوله :(**وهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ**)": مع أنه مع الخلق، لكنه فوق عرشه(**رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ**) أي مراقباً لهم حافظاً لأقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم(**مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ**) أي: حاكم مسيطر على عباده؛ فله الحكم، وإليه يرجع الأمر كله، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن! فيكون.(**مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم**) وعلى **مايعملون** (**إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ**) من ملك وسلطان وتدبير فإن معاني الربوبية كثيرة؛ لأن الرب هو الخالق المالك المدبر ، وهذه تحمل معاني كثيرة جداً.

قوله (وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ ــ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا ــ حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ) فلا يحتاج أن نصرف معنى الفوقية إلى فوقية القدر كما ادعاه أه التحريف والتعطيل ولا أن نصرف معنى المعية عن ظاهرها .

ثم استدرك المؤلف رحمه الله، فقال (**وَلَكِنْ يُصَانُ**) كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . (**عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ**) وهي الأوهام التي ليس لها أساس من الصحة؛ ؛ (**مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: { فِي السَّمَاءِ} ، أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ**) أي تكون فوقه؛ كالسقف على الإنسان(**أَوْ تُقِلُّهُ**) أي تحمله كما يحمل سقف البيت من كان على ظهره (**وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ،**) أي أحاط السماوات السبع والأرضين السبع، فكيف يظنُ ظانُ أن السماء تظل الله أو تقله (**وَهُوَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ**) عن أماكنهما ، ولولا إمساك الله لهما؛ لاضطربتا ومادتا وزالتا (**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ؛ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**) فلولا أن الله يمسكها؛ لوقعت على الأرض، وإذا وقعت على الأرض؛ أتلفتها ،فالذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؛ هل يتصور متصور أن السماء تقلُّه أو تظلُّه؟!

(**وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ) .**أي بأمره الكوني والشرعي؛ لأن أمره مبنى على الحكمة والرحمة والعدل والإحسان ،قال تعالى (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنّ) والأهواء فساد للسماوات والأرض، وهي مخالفة للأمر الشرعي.

(الإيمان بقؤب الله من خلقه وأن ذلك لا ينافي علوه سبحانه وفوقيته)

فصل

:وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بَينَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ الآية، وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ) .

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

عقد المؤلف هذ الفصل لبيان قرب الله تعالى وإجابته لعباده وأن ذلك ،لا ينافي علوه وفوقيته

قوله (**وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ**) أي دخل في الإيمان فيما وصف الله به نفسه (**الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ**) قريب في نفسه، ومجيب لعباده. **قال تعالى:** (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**)

والقول في وصفه سبحانه أنه (قَرِيبٌ) كالقول في المعية؛ أنه لا يستلزم أن يكون في المكان الذي فيه الإنسان.

فكذلك لا يلزم من قربه أن يكون في الأرض؛ لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته، وهو محيط بكل شيء.

مسألة : أقسام قرب الله من خلقه

اختلف أهل العلم في قرب الله من خلقه هل هو كالمعية على قولين :

القول الأول [٦]: أن قرب الله كالمعية ينقسم إلى قسمين :

الأول :قرب عام لجميع الخلق : وهو القرب الذي مقتضاه الإحاطة

الثاني : قرب خاص لعباده المؤمنين : وهو القرب الذي مقتضاه الإجابة والإثابة

القول الثاني : إن القرب قرب خاص فقط؛ مقتض لإجابة الداعي وإثابة العابد، ولا ينقسم، واختاره شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

---

[٦] - وومن قال بذلك الشيخ عبدالرحمن السعدي في خاتمة سفره المبارك (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) (ص ٩٤٩)

لقوله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)
ولقول النبي صلى الله عليه وسلم:" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" رواه مسلم
ولا يمكن أن يكون الله تعالى قريباً من الفجرة الكفرة.

واستدل من قال بتقسيم المعية :

١-قوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) فالمراد بـــ (الْإِنْسَانَ): كل إنسان ، ولهذا قال في آخر الآية: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) إلى أن قال (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) فهو شامل لكل الناس.

وأجيب عنه : أن المراد بقوله تعالى (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) أي الملائكة ،لقوله تعالى: (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ) فإن (إِذْ) ظرف متعلق بـــ(أَقْرَبُ)؛ أي: ونحن أقرب إليه حين يتلقى المتلقيان، وهذا يدل على أن المراد بقربه تعالى قرب ملائكته.

٢-قوله تعالى (فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) (وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ) ثم قسم هؤلاء الذين بلغت أرواحهم الحلقوم إلى ثلاثة أقسام، ومنهم الكافر.

وأجيب عنه : المراد بقوله تعالى : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) المراد: قرب الملائكة، ولهذا قال (وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ) وهذا يدل على أن هذا القريب موجود عندنا، لكن لا نبصره، وهذا يمتنع غاية الامتناع أن يكون المراد به الله عز وجل؛ لأن الله في السماء.

وما ذهب إليه شيخ الإسلام أُقرب، ولكنه ليس في القرب بذاك.

وقوله (**كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ**) أي في القرب والإجابة(**في قَوْلِهِ: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} الآيَة) وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنقِ رَاحِلَتِهِ**)ففيهما دلالة على قرب الله تعالى من الداعي بإجابته وهذا القرب لا يناقض علوه

قوله (وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُــبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.) أي : عليٌ مع أنه داني، قريب مع أنه عال

(الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة)

قوله (وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لا كَلامَ غَيْرِهِ. ولا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا. وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ)

هذه الجملة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم وأنه كلام الله حقيقة

قوله (**وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ**) وكلام الله صفة من صفاته، فتصديق ذلك من الإيمان بالله

وقوله :(**مُنَزَّلٌ**) من عند الله لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وقوله(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)

وقوله :(**غَيْرُ مَخْلُوقٍ**) لقوله تعالى: (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ). والقرآن من الأمر،ولأن الكلام صفة المتكلم، والمخلوق مفعول للخالق، بائن منه؛ كالمصنوع؛ بائن من الصانع

قوله :(**مِنْهُ بَدَأَ**) أي أن ابتداء تنزيله من الله

(**وَإِلَيْهِ يَعُودُ**) لها معنيان :

الأول : أن الله يرفعه إليه ، فيصبح الناس ليس بين أيديهم قرآن؛ لا في صدورهم ، ولا في مصاحفهم .

الثاني: أنه يعود إلى الله وصفاً؛ فلا يوصف به أحد سوى الله فالمتكلم بالقرآن هو الله عز وجل، وهو الموصوف به. وكلاهما صحيح

قوله :(**وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً**) بناء على الأصل وهو أن جميع الصفات حقيقية، وإذا كان كلام الله حقيقة؛ فلا يمكن أن يكون مخلوقاً؛ لأنه صفته، وصفة الخالق غير مخلوقة؛ كما أن صفة المخلوق مخلوقة.

قوله(**وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً**) كرر هذا الأمر؛ لأن المقام مقام عظيم؛ فإن هذه المسألة حصل فيها على علماء المسلمين محن عظيمة، وهلك فيها

أمم كثيرة، ولكن حمى الله الحق بالإمام أحمد وأمثاله، الذين أبوا أن يقولوا إلا أن القرآن كلام الله غير مخلوق (**لاَ كَلاَمَ غَيْرِهِ**) خلافاً لمن قال: إن القرآن من كلام جبريل؛ ألهمه الله إياه، أو من كلام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

قوله (**وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ**) أي القرآن (**حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ**) أي أنه ليس بكلام الله بل هو مماثل له كما يحكي الصدى كلام المتكلم.(**أَوْ عِبَارَةٌ**) عن كلام الله أي أن المتكلم عبر عن كلام الله النفسي بحروف وأصوات خلقت(**بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً**) ثم علل المؤلف ذلك (**فَإِنَّ الْكَلاَمَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا**) أما إضافته إلى من قاله مبلغاً مؤدياً؛ فعلى سبيل التوسع ، فالقرآن كلام من تكلم به أولاً، وهو الله تعالى ، لا كلام من بلغه إلى غيره.

قوله و(**هُوَ**) أي القرآن (**كَلاَمُ اللهِ؛حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ**) وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، إن الله تعالى تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه، خلافا للمعتزلة والجهمية الذين قالو إنه (**لَيْسَ كَلاَمُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي**) أي أن كلام الله حروف خلقها الله عز وجل، وسماها كلاماً له؛ كما خلق الناقة وسماها نقاة الله، وكما خلق البيت وسماها بيت الله ، وخلافا للكلابية والأشعرية الذين قالوا (**وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ**) أي أن كلام الله معنى في نفسه، ثم خلق أصواتاً وحروفاً تدل على هذا المعنى؛ إما عبارة أو حكاية.[٧]

مسألة : قال الإمام أحمد:" من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق؛ فهو مبتدع".

مع أن ألفاظنا بالقرآن وغير القرآن مخلوقة.

والجواب على هذه المقولة :أنه رحمه الله قال ذلك لأحد احتمالين:

الأول : لأن هذا القول من شعار الجهمية

الثاني : أن يكون ذلك حين يريد القائل باللفظ الملفوظ به وهو القران، وهذا أقرب؛ لأن الإمام أحمد قد فسره؛ فقال:" من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ يريد القرآن؛ فهو جهمي".

أما من قال: غير مخلوق؛ فالإمام أحمد يقول: مبتدع؛ لأن هذا ما عهد عن السلف، وما كانوا يقولون مثل هذا القول؛ بل كانوا يقولون: القرآن كلام الله فقط

[٧] - يغنيك أيها المتبع عن سفسطات المبتدعة وخزعبلاتهم أن تعتقد أن القرآن كلام الله ، والكلام صفة لله يتكلم كما يشاء بما يشاء في الوقت الذي يشاء على كيفية تليق به سبحانه وتعالى

(الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة عيانا بأبصارهم)

قوله (وَقَد دَّخَلَ أَيضاً فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ :الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ. يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى)

هذه الجملة في الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ومواضع الرؤية

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة

وقد دل على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة الكتاب والسنة :

أولاً: الكتاب:

قوله تعالى {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}

قال ابن كثير : {وجوه يومئذ ناضرة} من النضارة، أي حسنة بهية مشرقة مسرورة، {إلى ربها ناظرة} أي: تراه عيانا

وقوله سبحانه {عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ } قال السعدي : {يَنْظُرُونَ} إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم

وقوله {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} والحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } رواه مسلم

وَقَوْلُهُ: { لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } والمزيد : هو النظر إلى وجه الله عز وجل كما ورد ذلك عن علي بن أبي طالب وأنس بن مالك

ثانيا:السنة :

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) متفق عليه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله فقال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا لا يا رسول الله قال : فإنكم ترونه كذلك) متفق عليه

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه (وأسألك لذة النظر إلى وجهك) رواه النسائي

وخالف أهل السنة والجماعة طوائف من أهل التعطيل وانكروا رؤية المومنين لربهم يوم القيامة

واستدلوا بأدلة :

الأول : قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا}

فقالوا : إن(لن) للنفي المؤبد ، وقوله تعالى(لَنْ تَرَانِي) نفي مؤبد للرؤية ، والنفي خبر، وخبر الله تعالى صدق، لا يدخله النسخ.

والرد عليهم من وجهين:

الأول: منع كون [لن] للنفي المؤبد؛ لأنه مجرد دعوى: قال ابن مالك في " الكافية ":

ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله اردد وسواه فاعضدا

ويدل على ذلك قوله -تعالى- في اليهود: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً} أي : الموت ، مع أنهم يتمنون الموت يوم القيامة، ويدل عليه قوله -تعالى-: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} ، وقوله {ياليتها كانت القاضية}

الثاني: أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يطلب من الله الرؤية في الآخرة؛ وإنما طلب رؤية حاضرة؛ لقوله: {أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} ؛ أي: الآن. فقال الله تعالى له: لَنْ تَرَانِي؛ يعني: لن تستطيع أن تراني الآن، ثم ضرب الله تعالى له مثلا بالجبل حيث تجلى الله تعالى له فجعله دكا، فقال: {وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} ، وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته -تبارك وتعالى- فإنه إذا جاز أن

يتجلى للجبل، الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته، ويريهم نفسه .

فلما رأى موسى ما حصل للجبل؛ علم أنه هو لا طاقة له برؤية الله، وخر صعقا لهول ما رأى.

وعند أهل السنة: إن رؤية الله تعالى في الدنيا مستحيلة؛ لأن الحال البشرية لا تستطيع تحمل رؤية الله عز وجل؛ كيف وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه عز وجل: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»

أما رؤية الله تعالى في الآخرة فممكنة؛ لأن الناس في ذلك اليوم يكونون في عالم آخر تختلف فيه أحوالهم عن حالهم في الدنيا؛ كما يعلم ذلك من نصوص الكتاب والسنة فيما يجري للناس في عرصات القيامة وفي مقرهم في دار النعيم أو الجحيم.

الدليل الثاني لنفاة رؤية الله تعالى: قوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}

والرد عليهم: أن الآية فيها نفي الإدراك، والرؤية لا تستلزم الإدراك، ألا ترى أن الرجل يرى الشمس ولا يحيط بها إدراكا؟!

فإذا أثبتنا أن الله تعالى يرى؛ لم يلزم أن يكون يدرك بهذه الرؤية؛ لأن الإدراك أخص من مطلق الرؤية.

قوله (وَقَد دَّخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ :الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

وجه كون الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة من الإيمان بالله ظاهر؛ لأن هذا مما أخبر الله به؛ فإذا آمنا به؛ فهو من الإيمان بالله.

وكونه من الإيمان بالكتب؛ لأن الكتب أخبرت بأن الله يُرى؛ فالتصديق بذلك تصديق بالكتب.

وكونه من الإيمان بالملائكة؛ لأن الوحي نقل بواسطة الملائكة؛ فإن جبريل يتزل بالوحي من الله تعالى؛ فكان الإيمان بأن الله يُرى من الإيمان بالملائكة.

وكونه من الإيمان بالرسل؛ لأن الرسل هم الذين بلغوا الحق للخلق؛ فكان الإيمان بذلك من الإيمان بالرسل.

وقوله (عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ)

لقوله صلى الله عليه وسلم "إنكم سترون ربكم عيانا" رواه البخاري.

والمعانية هى: الرؤية بالعين.

وقوله صلى الله عليه وسلم "هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا لا يا رسول الله قال : فإنكم ترونه كذلك)

قوله (يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهَ) أي المؤمنين **(وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ،)** "عرصات": جمع عرصة، وهو المكان الواسع الفسيح ، الذي ليس فيه بناء؛ لأن الأرض تُمد مدَّ الجلد.وهذا هو الموضع الأول في رؤية المومنين لربهم

مسألة : أقسام الناس في عرصات القيامة :

١. مؤمنون خُلص ظاهراً وباطناً.

٢. وكافرون خُلص ظاهراً وباطناً.

٣. ومؤمنون ظاهراً كافرون باطناً، وهم المنافقون.

– فأما المؤمنون؛ فيرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة.

– أما الكافرون؛ فلا يرون ربهم مطلقاً، وقيل: يرونه؛ لكن رؤية غضب وعقوبة، ولكن ظاهر الأدلة يدل على أنهم لا يرون الله؛ كما قال الله تعالى(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ).

أما المنافقون؛ فإنهم يرون الله عز وجل في عرصات القيامة، ثم يحتجب عنهم ولا يرونه بعد ذلك[٨].

[٨] - وعند الشيخ ابن باز أن المنافقين لايرون الله لقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وهذا يعم المنافقين لأن كفرهم أشد ، وقال رحمه الله :وقد جاء في بعض الروايات ما يدل على أنه يأتي هذا اليوم الأمة وفيها منافقوها لكن ليس فيه الصراحة بأنهم يرونه يوم القيامة. (انظر مجموع الفتاوى (٤١٢/٢٨) وتعلقيه على الواسطية

لقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين عند ذكره لحال الناس في عرصات القيامة "وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم" الحديث وفي راوية عند مسلم " ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول من تنظرون فيقولون ننظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون"[٩] الحديث

قوله(ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛) وهذا هو الموضع الثاني في رؤية المؤمنين لربهم (كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى) في كيفية رؤيتهم إياه، وكما يشاء الله في زمن رؤيتهم إياه

و الرؤية لا نعلم كيفيتها؛ فلا يعلم العبد كيف يرى ربه، ولكن معنى الرؤية معلوم وهو أنهم يرون الله كما يرون القمر

ومن ثمرات الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة أن العبد إذا علم أن غاية ما يصل إليه من الثواب هو النظر إلى وجه الله كانت الدنيا كلها رخيصة عنده؛ وكل شيء يرخص عنده في جانب الوصول إلى رؤية الله عز وجل؛ لأنها غاية كل طالب، ومنتهى المطالب.

---

[٩] - **قال النووي** : "اعلم أن هذا الحديث قد يتوهم منه أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين وقد ذهب إلى ذلك طائفة حكاه بن فورك لقوله صلى الله عليه وسلم وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى وهذا الذي قالوه باطل بل لا يراه المنافقون بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين وليس في هذا الحديث تصريح برؤيتهم الله تعالى وإنما فيه أن الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرون الصورة ثم بعد ذلك يرون الله تعالى وهذا لا يقتضي أن يراه جميعهم وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المنافق لا يراه سبحانه وتعالى والله أعلم". (شرح صحيح مسلم: ٢٩/٣)

(الإيمان باليوم الآخر)

فَصْلٌ

قوله (وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ. فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى)

عقد المؤلف هذا الفصل في الإيمان باليوم الآخر وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة فيه

والإيمان باليوم الآخر فريضة واجبة، ومرتبته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة.

وسمى اليوم الآخر باليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده؛ فهو آخر المراحل.

وقوله رحمه الله: "الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت": كل هذا داخل في الإيمان باليوم الآخر.

قوله (فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ)

الفتنة : الاختبار، والمراد بفتنة القبر: سؤال الميت إذا دفن عن ربه ودينه ونبيه.

وقد دل لهذا قوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقد أخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب ـــ رضي الله عنهما ـــ عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال في قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} نزلت في عذاب القبر.

زاد مسلم: (يقال له: من ربك؟ فيقول ربي الله ونبيي محمد) فذلك قوله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}

وقوله صلى الله عليه وسلم:" إنه قد أوحي إلي أنم تفتنون في قبوركم مثل (أو: قريباً من) فتنة الدجال

قوله (فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ)

القبر: وهو مدفن الأموات، والمراد ما هو أعم؛ فيشمل البرزخ وهو ما بين موت الإنسان وقيام الساعة، سواء دفن الميت أو أكلته السباع في البر أو الحيتان في البحر أو اتلفته الرياح.

مسألة :الناس كلهم يفتنون في البرزخ ويستثنى منهم :

١- الأنبياء، فهم مسؤول عنهم، وليسوا مسؤولين

٢-الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لقوله صلى الله عليه وسلم:" كفي ببارقة السيوف على رأسه فتنة"رواه النسائي

٣-المرابط إذا مات في رباطه؛ لقوله الله صلى الله عليه وسلم قال:" رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامة، وإن مات؛ جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان"

قوله (وأمن الفتان) أي عذاب القبر وفتنته، وقيل: الشيطان فإنه يفتن الناس بخدعه إياهم وبتزيين المعاصي لهم

٤-من لا عقل له كالصغار والمجانين؛ لأنهم غير مكلفين

مسألة :الناس في فتنة القبر ثلاثة أقسام:

مؤمنون خلص، ومنافقون ، وهذان القسمان يفتنون في قبورهم.

والثالث كفار خلص، ففي فتنتهم خلاف، وقد رجح ابن القيم في كتاب " الروح" أنهم يفتنون[١٠].

قوله (فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَّبُكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّكَ؟)"

القائل له ملكان يأتيان إلى الإنسان في قبره، ويجلسانه، ويسألانه، من ربك ومادينك ومن نبيك الذي بعث إليك حتى إنه ليسمع قرع نعال المنصرفين عنه، وهما يسألانه، ولهذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه إذا دفن الميت؛ وقف عليه ، وقال:" استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت؛ فإنه الأن يسأل.

---

[١٠] - الروح (ص ٨٣) - المسألة الحادية عشر –وهى أن السؤال في القبر هل هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق)

مسألة :الملكان اللذان يسألان الميت اسمهما: (منكر، ونكير) كما ورد بذلك الخبر عند الترمذي

وأنكر بعض العلماء هذين الأسمين لأمرين :

الأول :أن الحديث الوارد في تسميتهما ضعيف

الثاني :ولأن الله وصف الملائكة بأوصاف الثناء فكيف ينعتان بهذين الأسمين المنكرين

وأجيب :بأن الحديث حسنه بعض أهل العلم ، ثم أن هذه التسمية ليس لأنهما منكران من حيث ذواتهما، ولكنهما منكران من حيث إن الميت لا يعرفهما، وليس له بهما علم سابق، وقد قال إبراهيم لأضيافه الملائكة (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) لأنه لا يعرفهم؛ فهذان منكر ونكير؛ لأنهما غير معروفين للميت.

قوله (فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمؤْمِنُ :رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم نَبِيِّي).

والقول الثابت: هو التوحيد؛ كما قال تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)

فإذا أجاب المؤمن عن سؤال الملكين ،نادى مناد من السماء: أن صدق عبدي؛ فافرشوه من الجنة، والبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً على الجنة.

قوله (وَأَمَّا الْمُرْتَابُ) المرتاب: الشاك والمنافق وشبههما الذي لم يلج الإيمان قلبه؛ وإنما كان يقول كما يقول الناس من غير أن يصل الإيمان إلى قلبه.(**فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ)** والضارب له الملكان اللذان يسألانه. **(بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ)** المرزبة: هي مطرقة من حديد.**(فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ)** مما يليه لقوله صلى الله عليه وسلم:" فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين". أخرجه البخاري **(إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ)** أي لغشي عليه أو مات من شدة هول ذلك

وقوله **(وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ)** الصعق إنما ورد في قول الجنازة إذا احتملها الرجال على أعناقهم؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" فإن كانت صالحة؛ قالت: قدموني! وإن كانت غير صالحة؛ قالت يا ويلها ! أين يذهبون بها ؟! يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعه؛ لصعق" رواه البخاري .

أما الصيحة في القبر؛ فلم يرد فيها أنها لو سمعها الإنسان لصعق فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين". أخرجه البخاري بهذا اللفظ ، والمراد بالثقلين: الإنس والجن.

مسألة :عدم سماع الإنسان لصياح المعذب في قبره له حكم عظيمة ، منها:

١- :ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" لولا أ لا تدافنوا؛ لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر" رواه مسلم

٢- : في إخفاء العذاب ستراً للميت وعدم إزعاج لأهله، لأن أهله إذا سمعوا ميتهم يعذب ويصيح؛ لم يستقر لهم قرار.

٣-: لو سمع الناس صراخ المعذبين؛ لكان الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة، لا من باب الإيمان بالغيب ، وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان؛ لأن الناس سوف يؤمنون بما شاهدوه قطعاً؛ لكن إذا كان غائباً عنهم، و لم يعلموا به إلا عن طريق الخبر؛ صار من باب الإيمان بالغيب .

قوله (ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرى،)

أي :بعد فتنة القبر وسؤال الملكين ،إما عذاب وإما نعيم إلى قيام الساعة ، وقد دلّ على عذاب القبر ونعيمه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين.

أما من الكتاب فقوله تعالى في آل فرعون: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً)، وهذا قبل قيام الساعة؛ بدليل قوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)

وأما السنة في عذاب القبر ونعيمه؛ فمتواترة، ومنها مارواه مسلم من حديث زيد بن ثابت أن رسول الله صلى عليه وسلم قال: «فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر.»

ما ثبت في " الصحيحين" من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين؛ فقال:" إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير..." الحديث

وفي حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر قال في المؤمن: «فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، والبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، فيأتيه من ريحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. وقال في الكافر: فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له بابا من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه» . الحديث رواه أحمد وأبو داود.

وأما الإجماع؛ فكل المسلمين يتعوذون في صلاتهم: من عذاب القبر ،ولو أن عذاب القبر غير ثابت؛ ما صح أن يتعوذوا بالله منه؛ إذ لا تعوذ من أمر ليس موجوداً، وهذا يدل على أنهم يؤمنون به.

مسألة : نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن" أ.ه

فالأصل أن العذاب على الروح، والبدن تابع لها؛ كما أن العذاب في الدنيا على البدن، والروح تابعة له، ففي القبر يكون العذاب أو النعيم على الروح، لكن الجسد يتأثر بهذا تبعاً، وليس على سبيل الاستقلال.

مسألة : عذاب القبر للكفار؛ دائم، ولا يمكن أن يزول العذاب عنهم؛ لأنهم مستحقون لذلك ، ولأنه لو زال العذاب عنهم؛ لكان هذا راحة لهم ، وهم ليسوا أهلاً لذلك؛ فهم باستمرار في عذاب إلى يوم القيامة.

أما عصاة المؤمنين الذين يقضي الله تعالى عليه بالعذاب؛ فهؤلاء قد يدوم عذابهم وقد لا يدوم ، وقد يطول وقد لا يطول؛ حسب الذنوب، وحسب عفو الله عز وجل.

قاعدة : الواجب على العبد في الأمور الخبرية الغيبية هو التسليم

عالم الغيب لا يقاس بعالم الشهادة فما يرد على الخاطر من الميت يدفن في قبر ضيق؛ فكيف يوسع له مد البصر ، أو المشاهد إذا فتحنا القبر وجدنا الميت على حاله لا عذاب أو نعيم

فلا ترد النصوص الصحيحة؛ لاستبعادنا ما تدل عليه حسب المشاهد ، فكل مايطرأ على خاطرك من أحوال القبر مما يستبعد بالمشاهدة ، فعليك بالتسليم وقل آمنت وصدقت

قوله "فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ .وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ .فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ . فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ | وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ .وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا | اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾.

قوله(فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ)

وذلك بعد النفخة الثانية في الصور، بعد أن فارقتها بالموت، وهذه غير الإعادة التي تكون في البرزخ حين سؤال الميت عن ربه ودينه ونبيه، وذلك أن الله يأمر إسرافيل فينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات والأرض؛ إلا من شاء الله؛ ثم ينفخ فيه مرة أخرى فتتطاير الأرواح من الصور إلى أجسادها ، وتحل فيها . والأرواح لا تخرج من الصور؛ إلا بعد أن تتكامل الأجساد بعد رفاتها مخلوقة؛ فإذا كملت خلقتها؛ نفخ في الصور، فأعيدت الأرواح إلى أجسادها.

والبعث إعادة لما زال وتحول وليس تجديداً، فإن الجسد يتحول إلى تراب، والعظام تكون رميماً؛ يجمع الله تعالى هذا المتفرق، حتى يتكون الجسد، فتعاد الأرواح إلى أجسادها،

قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَن) أي: يعيد ذلك الخلق الذي ابتدأه.

قوله (.وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ)

فأما كتاب الله تعالى؛ فقد أكد الله تعالى في كتابه هذه القيامة، وذكرها الله عز وجل بأوصاف عظيمة، توجب الخوف والاستعداد لها:

فقال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

وقال تعالى: (الْقَارِعَةُ) (مَا الْقَارِعَةُ) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ) (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)

والأوصاف لها في القرآن كثيرة؛ كلها مروعة مخوفة؛ لأنها عظيمة

وأما السنة فالأحاديث في ذكر القيامة كثيرة، فقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام بها ما يكون فيها غاية البيان ،كما سيأتي إن شاء الله في ذكر الحوض والصراط ووأخذ الكتاب وغير ذلك مما بينه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد أجمع المسلمون إجماعاً قطعياً على الإيمان بيوم القيامة، ولهذا كان من أنكره؛ فهو كافر؛ إلا إذا كان غريباً عن الإسلام وجاهلاً؛ فإنه يعرف؛ فإن أصر على الإنكار بعد ذلك؛ فهو كافر.

قوله (.فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً)

وذلك عودت أرواحهم إلى أجسادهم بعد النفخة الثانية في الصور

فيناديهم الله عزوجل فيقومون من قبورهم له سبحانه وهذا بناء على الأغلب وإلا؛ فقد يكون الإنسان غير مدفون.

قال الله تعالى: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ)

وقال الله تبارك وتعالى: (أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ) (لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

ويكونون حال قيامهم:

" **حُفاة**" ليس عليهم نعال ولا خفاف

" **عراة**": ليس عليهم لباس للجسد.

" **غرلاً**:" لم ينقص من خلقهم شيء، والغرل: جمع أغرل، وهو الذي لم يختن

ولما حدث النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا الحال؛ قالت عائشة: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال:" الأمر أشد من أن يُهمهم ذلك "(وفي رواية: من أن ينظر بعضهم إلى بعض) متفق عليه

فكل إنسان له شأن يغنيه: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) (وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ) (وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ) (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) ثم يكسون بعد هذا، وأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم "وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم" متفق عليه

قوله (وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ)

إي: تقرب منهم الشمس، مقدار ميل، لقوله صلى الله عليه وسلم :" تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل" رواه مسلم

و"الميل " قيل المراد به :المسافة المعروفة ، وقيل :ميل المكحلة؛ وعلى كلا القولين فإنها مسافة قريبة، وإذا كانت هذه حرارتها في الدنيا ، وبينها من البعد شيء عظيم؛ فكيف إذا كانت عن الرؤوس بمقدار ميل

مسألة :هناك أناس يسلمون من الشمس ويظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهم:" إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا علي وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً؛ ففاضت عيناه" ومن أنظر معسرا لقوله صلى الله عليه وسلم: "من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله" رواه مسلم

مسألة : المراد بالظل في قوله " ويظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله "

ظل يخلقه الله،فيستظلون به وليس كما يتوهم أنه ظل ذات الرب عز وجل؛ فإن هذا باطل؛ لأنه يستلزم أن تكون الشمس حينئذ فوق الله عز وجل[11]

قوله (وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ) أي بعد دنو الشمس منهم يصل منهم العرق إلى موضع اللجام من الفرس، وهو الفم، ولكن هذا غاية ما يصل إليه العرق، وبعضهم يصل العرق إلى كعبيه، وإلى ركبتيه، وإلى حقويه، ومنهم من يلجمه، فهم مختلفون في هذا العرق، على حسب أعمالهم.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :قال صلى الله عليه وسلم "تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من

---

[11] - لأهل السنة في عود الضمير في قوله (إلا ظله) أقوال : أحدهما : ماذكره الشيخ رحمه الله ، والثاني :أنه ظل العرش قال ابن حجر في الفتح (١٤٤/٢) :وقيل المراد ظل عرشه ويدل عليه حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسناد حسن سبعة يظلهم الله في ظل عرشه فذكر الحديث .

وعند الشيخ ابن باز أن المراد بالظل في هذا الحديث ظل العرش ، وما ورد من ظل مطلق فهو صفة لرب العالمين انظر (مجموع الفتاوى (٤٠٢/٢٨) وتعليقه على بلوغ المرام /كتاب الزكاة/الشريط الثاني/الوجه الثاني

يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما قال وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه" رواه مسلم

قوله (فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَاد ، { فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ | وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ)

الموازين جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلا.

وشرعًا: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد

وهو ميزان حسي له كفتان توضع الأعمال فيه ، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في صاحب البطاقة قال: "فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة" الحديث

مسألة :وردت النصوص بذكر الميزان تارة بالجمع وتارة بالإفراد

فمثال الجمع: قول الله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) وقال تعالى (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ)

وأما الإفراد؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم" متفق عليه

والجمع بينهما :إنها جمعت باعتبار الموزون؛ بدليل قوله: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) حيث أنه متعدد، وأفردت باعتبار أن الميزان واحد،

وقوله (فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَاد)

فالذي يوزن العمل سواء كان خيراً أم شراً:قال الله تعالى (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ) (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)

وقيل : إن الذي يوزن صحائف الأعمل

لحديث صاحب البطاقة

وقيل : إن الذي يزون العامل

لقوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً)

ونوقش : إن معنى قوله: (فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً) يعني: قدراً.

وقوله صلى الله عليه وسلم: عن قدم عبدالله بن مسعود حين ضحك الصحابة من دقتها: والذي نفسي بيده؛ لهما في الميزان أثقل من أحد" وظاهره أن الذي يوزن العامل.

و الجمع بينها: أن الذي يوزن هو العمل، ويخص بعض الناس، فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه[١٢]

مسألة :في قوله تعالى (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) دليل على أن الكفار توزن أعمالهم

وقيل : أن الكفار لا توزن أعمالهم؛ لقوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً).

والصحيح أن الأعمال توزن كُلَّها ، فيقام الوزن؛ لإظهار الحجة عليه[١٣]

قوله (**وَتُنْشَرُ**) أي تفرق وتفتح لقارئها(**الدَّوَاوِينُ**) جمع ديوان، (وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ) التي كتبتها الملائكة الموكلون بأعمال بني آدم (**فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**) وهم المؤمنون(**وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَّرَاءِ ظَهْرِهِ**) وهم الكافرون (**كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: { وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ**) أي عمله(**فِي عُنُقِه وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا**) أي مفتوحاً؛ لا يحتاج إلى تعب ولا إلى مشقة في فتحه (**اقْرَأْ كِتَابَكَ**) وانظر ما كتب عليك فيه.(**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا }.**)

مسألة :الكتابة في صحائف الأعمال للحسنات ، وللسيئات.

يكتب من الحسنات :

١- ما عمله الإنسان

---

[١٢] - وقال رحمه الله في تعليقه على لمعة الإعتقاد : "وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن أو أن الوزن حقيقة للصحائف، وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته، وهذا جمع حسن والله أعلم." أ.هـ
قلت: ولعل ما قاله في شرح الواسطية هو ماترجح له – رحمه الله – حيث أن تعليقه على لمعة الاعتقاد متقدم على شرح الواسطية بزمن طويل

[١٣] - في الشرح اطلق الخلاف ، والترجيح من تفسيره لسورة الكهف (ص ١٤٦)

٢- ما نواه، ويكتب له أجر النية فقط

٣- ما هم به .

والهم، على قسمين:

الأول: أن يهم بالشيء ويفعل ما يقدر عليه منه، ثم يحال بينه وبين إكماله.

فهذا يكتب له الأجر كاملاً؛ لقوله تعالى: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً)

الثاني: أن يهم بالشيء ويتركه مع القدرة عليه؛ فيكتب له به حسنة كاملة؛ لنيته.

والسيئات؛ فإنه يكتب منها :

١-ما عمله الإنسان

٢-ما أراده وسعى فيه ولكن عجز عنه.

٣-ما نواه وتمناه.

مسألة :من هم بالسئية فهو على ثلاث أحوال :

١- إن تركها عجزا؛ وقد سعى فيها فهو كالعامل

٢- إن تركها لله؛ كان مأجوراً.

٣- إن تركها لأن نفسه عزفت عنها،أو لم تطرأ على باله؛ فهذا لا إثم عليه ولا أجر.

والله عز وجل يجزي بالحسنات أكثر من العمل، ولا يجزي بالسيئات إلا مثل العمل؛ قال تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) وهذا من كرمه عز وحل ومن كون رحمته سبقت غضبه.

قوله ((وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَّراءِ ظَهْرِهِ)

ظاهر كلام المؤلف أن الناس يأخذون كتبهم على ثلاثة أوجه: باليمين، وبالشمال، ومن وراء الظهر.

ولكن الظاهر أن هذا الاختلاف اختلاف صفات؛ فالذي يأخذ كتابه من وراء ظهره هو الذي يأخذ كتابه بشماله؛ فيأخذ بالشمال، وتجعل يده من الخلف؛ فكونه يأخذه بالشمال؛ لأنه من أهل الشمال، وكونه من وراء ظهره؛ لأنه لما استدبر كتاب الله ، وولي ظهره إياه في الدنيا؛ صار من العدل أن يجعل كتاب أعماله يوم القيامة خلف ظهره؛ فعلى هذا؛ تخلع اليد الشمال حتى تكون من الخلف. والله أعلم

* * *

قوله (وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلاِئقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلاَ يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا)

هذه الجملة في بيان محاسبة الخلائق على أعمالهم يوم القيامة

والحساب :هو إطلاع الله العباد على أعمالهم يوم القيامة.

وقد دلّ على الحساب الكتاب والسنة والإجماع

أما الكتاب؛ فقال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) (فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً) (وَيَصْلَى سَعِيراً)

أما السنة؛ فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– في بعض صلاته: "اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا" فقالت عائشة رضي الله عنها: ما الحساب اليسير؟ قال: "أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه" رواه أحمد،.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

مسألة : الحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي –صلى الله عليه وسلم– وهم سبعون ألفًا من هذه الأمة منهم عكاشة بن محصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب،لما ثبت في الصحيحين": أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أمته ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" وروي الإمام أحمد من حديث ثوبان بسند جيد: "أن مع كل واحد سبعين ألفاً ".

قوله (وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)

وهذه صفة حساب المؤمن فيخلو به ربه عز وجل دون أن يطلع عليه أحد، فيقول له: عملت كذا، وعملت كذا... حتى يقر ويعترف، ثم يقول له سبحانه: " سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم" متفق عليه

قوله (.وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا)

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم حينما ذكر حساب الله تعالى لعبده المؤمن، وأنه يخلو به، ويقرره بذنوبه. قال " وأما الكفار المنافقون؛ فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين". متفق عليه

والمحاسبة المنفية عن الكفار هي محاسبة الموازنة بين الحسنات والسيئات، وأما محاسبة التقرير والتقريع فثابتة كما يدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم

مسألة :أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال الصلاة، وأول ما يقضي فيه بين الناس الدماء؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، والدماء اعظم ما يعتدى به في حقوق الآدميين.

(حوض النبي صلى الله عليه وسلم ومكانه وصفته)

قوله (وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا)

هذه الجملة في بيان حوض النبي ومكانه وصفته

والعرصات: جمع عرصة، وهي المكان المتسع بين البنيان، والمراد به هنا مواقف القيامة.

والحوض: مجمع الماء، والمراد به هنا: حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي الحوض مسائل :.

الأولى: حوض النبي صلى الله عليه وسلم موجود الآن؛ لقوله صلى الله عليه وسلم أن خطب ذات يوم وهو يخطب :" وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن" متفق عليه

وقال صلى الله عليه وسلم :" ومنبري على حوضي" متفق عليه

وهذا يحتمل أمرين:

الأول :أن المنبر على الحوض حقيقة الآن لكن لا نشاهده؛ لأنه أمر غيبي.

الثاني :أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض.

الثانية : هذا الحوض يصب فيه ميزابان من الكوثر، وهو النهر العظيم، الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة؛ يتزلان إلى هذا الحوض ، لقوله صلى الله عليه وسلم (يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق) رواه مسلم

الثالثة: زمن الحوض قبل العبور على الصراط؛ لأن المقام يقتضي ذلك؛ حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل عبور الصراط[١٤].

الرابعة: يرد هذا الحوض المؤمنون بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، المتبعون لشريعته، وأما من استنكف واستكبر عن اتباع الشريعة؛ فإنه يطرد منه.

الخامسة : في كيفية مائه: ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل و أطيب من ريح المسك؛ كما ثبت به الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

السادسة: في آنيته: قال المؤلف:" آنيته عدد نجوم السماء".كما ورد في بعض ألفاظ الحديث، وفي بعضها:" آنيته كنجوم السماء"، وهذا اللفظ أشمل؛ لأنه يكون كالنجوم في العدد وفي الوصف بالنور واللمعان؛ فآنيته كنجوم السماء كثرة وإضاءة.

السابعة : آثار الحوض: من يشرب منه شربة؛ لا يظمأ بعدها أبداً

الثامنة : مساحة الحوض: طوله شهر وعرضه شهر، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يقتضي أن يكون مدوراً؛ لأنه لا يكون بهذه المساحة من كل جانب؛ إلا إذا كان مدوراً، وهذه المسافة باعتبار ما هو معلوم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من سير الإبل المعتاد.

التاسعة : لكل نبي حوض كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي ،وإن كان فيه مقال:" إن لكل نبي حوضاً "

لكن هذا يؤيده المعنى، وهو أن الله عز وجل بحكمته وعدله كما جعل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حوضاً يرده المؤمنون من أمته؛ كذلك يجعل لكم نبي حوضاً ، حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين، لكن الحوض الأعظم هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم .

---

[١٤]- اختلف أهل السنة في الحوض هل هو قبل الصراط أم بعده على قولين (انظر فتح الباري (٤٦٦/١١) _باب في الحوض)

(الصراط وصفة مرور الناس عليه)

قوله (وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجسرَ عَلَيْهِ كَلالِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ.))

في هذه الجملة بيان الصراط وحال الناس حين العبور عليه

والصراط : وهو الجسر المنصوب على النار ليعبر الناس منه إلى الجنة

مسألة : الصراط دقيق جداً؛ لقول أبي سعيد الخدري " بلغني أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف" رواه مسلم

وقيل : هو طريق واسع وليس بدقيق ،لقوله صلى الله عليه وسلم " ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر قال مدحضة مزلة"متفق عليه

والدحض والمزلة لا يكونان إلى في طريق واسع، أما الضيق؛ فلا يكون دحضاً ومزلة.

وكلا القولين له وجهة قوية.

وقوله:" منصوب على متن جهنم"؛ يعني: على نفس النار.

وقوله:" **يمر الناس**": وهم المؤمنون؛ لأن الكفار قد ذهب بهم إلى النار .

مسألة :الناس عند المرور على الصراط لهم أحوال :

وبينهم المؤلف بقوله (، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم)

ومرور الناس عليه على قدر أعمالهم؛ فمن كان سريعاً في قبول ما جاءت به الرسل في الدنيا؛ كان سريعاً في عبور الصراط، ومن كان بطيئاً في قبول ماجاءت به الرسل؛ كان بطيئاً في عبور الصراط؛ جزاء وفقاً، والجزاء من جنس العمل.

وقوله (مَنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ)

فلايستطيع العبور بل يؤخذ بسرعة ويطرح في جهنم

قال صلى الله عليه وسلم في وصف الجسر " وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به" متفق عليه

والكلاليب : جمع كلوب وهي حديدة معطوفة الرأس.

وهذه الكلاليب (**تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم**) أي بسبب أعمالهم السيئة فيكون اختطافها لهم على الصراط بحسب اختطاف الشبهات والشهوات لهم عن الصراط المستقيم.

قوله :" **فيلقى في جهنم**" يفهم منه أن النار التي يلقى فيها عصاة الموحدين هي النار التي يلقى فيها الكفار، ولكنها لا تكون بالعذاب كعذاب الكفار، ، فتكون حارة مؤلمة لكنها ليست كحرارتها بالنسبة للكافرين.

ثم إن أعضاء السجود لا تمسها النار؛ لما ثبت ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيحين"حرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود" وعند النسائي (إن النار تأكل كل شيء من بن آدم إلا موضع السجود) ومواضع السجود هي :الجبهة والأنف والكفان والركبتان وأطراف القدمين.

قوله(فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ.) لأنه نجا من النار (**فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛**) أي الصراط (**وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ**) القنطرة :هي الجسر وما ارتفع من البنيان(**بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصَّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ**) غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير.

قال صلى الله عليه وسلم:{ يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا } رواه البخاري

فالقنطرة التي بين الجنة والنار؛ لأجل تنقية ما في القلوب ، حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل؛ كما قال الله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)

قوله (**فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ**) فلا يجدون الباب مفتوحاً، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع إلى الله في أن يفتح لهم با بالجنة

وقوله (**وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم**) لما ثبت في " صحيح مسلم " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا أول شفيع في الجنة"، وفي لفظ " أنا أول من يقعر باب الجنة، وفي لفظ:" آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح – أي: أطلب فتح الباب- فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد . فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد من قبلك"

وهذا من نعمة الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن الشفاعة الأولى التي يشفعها في عرصات القيامة لإزالة الكروب والهموم والغموم، والشفاعة الثانية لنيل الأفراح والسرور؛ فيكون شافعاً للخلق عليه الصلاة والسلام في دفع ما يضرهم وجلب ما ينفعهم.

ولا دخول إلى الجنة إلا بعد شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ واشار إليه الله عز وجل بقوله (**حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**) ؛ فإنه لم يقل: حتى إذا جاءوها؛ فتحت! وفيه إشارة إلى أن هناك شيئاً قبل الفتح، وهو الشفاعة .

أما أهل النار؛ فقال فيهم: (**حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**) لأنهم يأتونها مهيأة فتبغتهم؛ نعوذ بالله منها.

قوله (وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ.) لما ثبت في " صحيح مسلم " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة"

مسألة :أبواب الجنة ثمانية؛ قال الله تعالى (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) فأبوابها متعددة وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله " في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون" رواه البخاري

وقال صلى الله عليه وسلم فيمن توضأ وأسبغ والوضوء وتشهد:" إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية؛ يدخل من أيها شاء" رواه مسلم

وهذه الأبواب كانت ثمانية بحسب الأعمال؛ لأن كل باب له عمال؛ فأهل الصلاة المكثرون منها؛ ينادون من باب الصلاة، وأهل الصدقة من باب الصدقة، وأهل الجهاد من باب الجهاد، وأهل الصيام من باب الريان.

وقد يوفق الله عز وجل بعض الناس لأعمال صالحة شاملة؛ فيدعى من جميع الأبواب؛ كما في الصحيحين"عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من أنفق زوجين في سبيل الله؛ نؤدي من أبواب الجنة: يا عبد الله ! هذا خير...." وذكر الحديث ، وفيه: فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؛ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال:" نعم، و أرجو أن تكون منهم".

(شفاعات النبي ﷺ)

قوله (وَلَه صلى الله عليه وسلم فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ: أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُوْلَى؛ فَيَشفعُ فَي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِي إِلَيْهِ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّة. وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا. وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ .وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ)

هذه الجملة في بيان الشفاعة وما اختص النبي ﷺ به منها

والشفاعة: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

مسألة: أقسام الشفاعة .

تنقسم الشفاعة إلى قسمين:

الأولى :شفاعة باطلة: وهي التي يتعلق به المشركون في أصنامهم؛ حين يعبدونها ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله ، كما قال تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ

اللَّهِ) ويقولون (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) وهي باطلة لا تنفع؛ لقوله تعالى: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)

الثانية :شفاعة صحيحة:وهي التي جمعت شروطاً ثلاثة:

الأول: رضى الله عن الشافع.

الثاني: رضاه عن المشفوع له

لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم .

الثالث: إذنه سبحانه في الشفاعة.

والإذن لا يكون إلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له.

لقوله تعالى (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)

وقال تعالى: (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً)

وقال سبحانه (وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)

فالآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة، والثانية: تضمنت شرطين، والثالثة تضمنت شرطاً واحداً.

ذكر المؤلف رحمه الله أن للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات:

الأولى : الشفاعة العظمى.

الثانية : الشفاعة لأهل الجنة ليدخلوا الجنة.

الثالثة : الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

فقال (أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُوْلَى؛ فَيَشفَعُ فَي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ)

ويدل لهذا ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون فيم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد؛ يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس نم الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: عليكم بآدم! فيأتونه ، فيقولن له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله

ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصيته؛ نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى نوح! فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح! إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً؛ اشفع لنا إلى ربك؛ إلا ترى إلى ا نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي؛ اذهبوا إلى إبراهيم! فيأتون إبراهيم ، فيقولون: يا إبراهيم ! أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض؛ اشفع لنا إلى ربك؛ إلا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله، وإني قد كذبت ثلاث كذبات؛ إذهبوا إلى موسى! فيأتون موسى ، فيقولون: يا موسى! أنت رسول اله ، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس؛ اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله ، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها؛ اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله وكلمته إلي مريم وروح منه وكلمت الناس في النهد صبياً؛ أشفع لنا غلى ربك؛ إلا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله و لم يذكر ذنباً، وكلهم يقول كما قال آدم: نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى محمد ! فيأتون محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق ، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك؛ سل تعطه، واشفع تشفع...." الحديث.

وهذه الشفاعة العظمى لا تكون لأحد أبداً إلا للرسول عليه الصلاة والسلام، وهي أعظم الشفاعات؛ لأن فيها إراحة الناس من هذا الموقف العظيم والكرب والغم.

قوله (وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّة.)

ويدل لهذا ما رواه مسلم عن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم ، فيقولون: يا أبانا ! استفتح لنا الجنة..." وذكر الحديث ، وفيه:" فيأتون محمداً، فيقوم فيؤذن له.." الحديث.

قوله **(وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ)**

أي الشفاعة في أهل الموقف أن يقضى بينهم، والشفاعة في دخول الجنة.

وهناك أيضاً شفاعة ثالثة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لا تكون لغيره، وهي الشفاعة في عمه أبي طالب، مع أنه كافر، ولكنها شفاعة لا تخرجه من النار، بل يكون في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه؛ قال صلى الله عليه وسلم:" ولولا أنا؛ لكان في الدرك الأسفل من النار" متفق عليه

وهذا من أجل ما حصل من دفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قوله (وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لاَّ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا)

وهذه الثالثة لها صورتان:

١-يشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها

٢-ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

قوله:" وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم "؛ فليست خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، بل تكون للنبيين؛ ، وللصديقين والصالحين وأهل التوحيد حيث يشفعون في عصاة قومهم

قوله (. وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ)

وهم عصاة المؤمنين لما رواه الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أن الله تعالى يقول: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط؛ قد عادوا حمماً... "

قوله (وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ)

لما ثبت ذلك في " الصحيحين" من حديث انس بن مالك رضي الله أن النبي ﷺ قال، { لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة عليها قدمه فيتروي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة }.

وفي لفظ مسلم (يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة).

قوله (وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ)

قوله (وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ)

الجنة: هي الدار التي أعدها الله تعالى لأوليائه، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر؛(لا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي: لا تعلم حقيقته وكنهه.

وهي موجودة الآن؛ لقوله تعالى: (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)، والأحاديث في هذا المعنى متواترة.

ولا تزال باقية أبد الآبدين؛ لقوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) وقوله (خَالِدِينَ فِيهَا أبدا)؛ في آيات متعددة.

والنار: هي الدار التي أعدها الله تعالى لأعدائه، وفيها من أنواع العذاب والعقاب ما لا يطيق.

وهي موجودة الآن؛ لقوله تعالى: (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) والأحاديث في هذا المعنى مستفيضة مشهورة.

وأهلها خالدون فيها أبداً؛ لقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً) (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)

قوله (مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ) وهي التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى وغيرها من الكتب المنزلة **(وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ،)** فكلها ذكرت مايتضمنه اليوم الآخر

مسألة :العلم المأثور عن الأنبياء على قسمين:

الأول: قسم ثبت بالوحي، وهو ما ذكر في القرآن والسنة الصحيحة، وهذا لا شك في قبوله واعتقاد مدلوله.

الثاني: قسم أتى عن طريق النقل ، وهذا هو الذي دخل فيه الكذب والتحريف والتبديل والتغيير.

ويحتاج إلى تثبت فيه عند نقله

مسألة: ما أثر عمن سبق ثلاثة أقسام:

الأول: ما شهد شرعنا بصدقه.

الثاني: ما شهد شرعنا بكذبه.

الثالث: ما لم يحكم بصدقه ولا كذبه.

فهذا مما يجب فيه التوقف؛ لا يصدق ولا يكذب.

تنبيه :باب اليوم الآخر وأشراط الساعة- ذكرت في أحاديث كثيرة فيها ضعف وفيها وضع، وأكثر ما تكون هذه في كتب الرقائق والمواعظ؛ فلذلك يجب التحرز منها، وأن نحذر العامة الذين يقع في أيديهم مثل هذه الكتب.

(الإيمان بالقضاء والقدر)

قوله (وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ. فَالدَّرَجَةُ الأُولَى :الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالْخَلْقِ، وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ. فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ :اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلاَمُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ، وَقَالَ: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً: فَقَدْ كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ. وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأُرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ . . وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاَةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ)

هذه الجملة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الايمان بالقدر

الإيمان بالقدر واجب، ومرتبته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة؛ كما قال النبي ﷺ لجبريل حين قال: ما الإيمان؟ قال:" أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره" متفق عليه

والقدر :

في اللغة؛ بمعنى: التقدير؛ قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) وقال تعالى (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ)

والقضاء :في اللغة: الحكم.

والقضاء والقدر كلمتان: إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا.

فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعاً؛ فلكل واحد منهما معنى.

فالتقدير: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه.

وأما القضاء: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقاً.

مسألة :فوائد الإيمان بالقدر :

أولاً: الإيمان بالقدر من تمام الإيمان ، ولا يتم الإيمان إلا بذلك .

ثانياً: أنه من تمام الإيمان بالربوبية؛ لأن قدر الله من أفعاله.

ثالثاً: رد العبد أموره إلى ربه؛ لأنه إذا علم أن كل شيء بقضائه وقدره؛ فإنه سيرجع إلى الله في دفع الضراء ورفعها، ويضيف السراء إلى الله ، ويعرف أنها من فضل الله عليه.

رابعاً: أن العبد يعرف قدر نفسه ، ولا يفخر إذا فعل الخير.

خامساً: يهون المصائب على العبد؛ لأنه إذا علم أنها من عند الله؛ هانت عليه المصيبة؛ كما قال تعالى: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) قال علقمة رحمه الله:" هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم".

سادساً: يعرف به العبد حكمة الله عز وجل؛ لأنه إذا نظر في هذا الكون وما يحدث في تغيرات باهرة؛ عرف بهذا حكمة الله عز وجل؛ بخلاف من نسي القضاء والقدر؛ فإنه لا يستفيد هذه الفائدة.

قوله (خيره وشره) أي خير القضاء والقدر وشره

و الخير: ما يلائم طبيعة الإنسان؛ بحيث يحصل له به خير أو ارتياح وسرور ، وكل ذلك من الله عز وجل.

والشر في القدر: ما لا يلائم طبيعة الإنسان؛ بحيث يحصل له به أذية أو ضرر.

مسألة : والشر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له، لكنه باعتبار المقدور له، وقد تقدم الكلام عنه في أول الشرح

مسألة :الإيمان بالقدر خيره وشره لا يتضمن الرضى بكل مقدور.

لأن المقدور ينقسم إلى كوني وإلى شرعي:

١-المقدور الكوني: إذا قدر على العبد مكروهاً؛ فلا بد أن يقع؛ رضيى أم أبى.

٢-المقدور الشرعي: وهو الأمر والنهي ،قد يفعله العبد وقد لا يفعله

باعتبار الرضى به فيه تفصيل:

أ-إن كان طاعة لله وجب الرضى به.

ب- وإن كان معصية؛ وجب سخطه وكراهته والقضاء عليه.

فيجب الإيمان بالمقضي كله؛ من حيث كونه قضاء لله عز وجل ، أما من حيث كونه مقضياً؛ فقد يرضى به العبد وقد لا يرضى؛ فلو وقع الكفر من شخص فلا نرضى بالكفر منه، لكن نرضى بكون الله أوقعه.

قوله (والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أولاً وابداً)

في هذه الجملة بيان الدرجة الأولى التي يؤمن بها العبد وهذه الدرجة تتضمن الإيمان الإيمان بالقدر على درجتين :

الدرجة الأولى وتتضمن :

١- بأن الله يعلم كل شيء عن خلقه

٢- أنه كتب مقادير الخلق في اللوح المحفوظ

قوله (بعلمه القديم) الذي لا أول لابتدائه؛ فهو لم يزل فيما مضى من الأزمنة التي لا نهاية لها عالماً بما يعمله الخلق.

ويدل لذلك الكتاب والسنة :

أما الكتاب؛ فقد جاءت كثير من الأيات في عموم علم الله؛ مثل: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً) (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ َيْءٍ قَدِيرٌ) إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى كثرة.

أما في السنة فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر بان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وبأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأقلام قد جفت وطويت الصحف... والأحاديث في هذا كثيرة.

قوله (الذي هو موصوف به أولاً وابداً) أي علمه سبحانه و كونه موصوفاً **(به أولاً)** فيه نفي للجهل ، وفي كونه موصوفاً **(به أبداً)** فيه نفي للنسيان.

ولهذا كان علم الله عز وجل غير مسبوق بجهل ولا ملحوق بنسيان؛

كما قال موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون: (قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى)

قوله **(وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال)**

هذا هو الأمر الأول من الدرجة الأولى ، وه: أن الله يعلم كل شيء .

و دل لذلك ما ثبت في "الصحيحين"عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق:" إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه..." وذكر أطوار الجنين، وفيه:" ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد)

قوله (ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق)

هذا هو الأمر الثاني من الدرجة الأولى، وهو: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.

مسألة :صف اللوح بكونه محفوظاً لأمرين:

الأول :لأنه محفوظ من أيدي الخلق؛ فلا يمكن أن يلحق أحد به شيئاً أبداً

الثاني :لأنه محفوظ من التغيير؛ فالله عز وجل لا يغير فيه شيئاً؛ لأنه كتبه عن علم منه؛ كما سيذكره المؤلف، ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله:" إن المكتوب في اللوح المحفوظ لا يتغير أبداً"، وإنما يحصل التغيير في الكتب التي بأيدي الملائكة"

قوله (فأول ما خلق الله القلم قال له: أكتب. قال: ما أكتب ،قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه)

دل لهذا ما رواه أبوداود عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول ما خلق الله القلم ،فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب، قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة".

يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"من مات على غير هذا فليس مني" .

قوله (جفت الأقلام) وهي أقلام القدر التي كتب الله بها المقادير؛ جفت وانتهت(وطويت الصحف) وهو كناية عن أن الأمر انتهى. (كما قال سبحانه وتعالى: (أَلَمْ تَعْلَمْأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِإِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) وقال (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْض وَلا فِي أَنْفُسِكُمإِلَّا فِي كِتَاب مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

دل لذلك مارواه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه؛ قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم؛ قال: يا رسول الله! بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم؛ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما نستقبل ؟ قال:"لا؛ بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير" قال: ففيم العمل؟ قال: " اعملوا؛ فكل ميسر".

قوله (وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب ، رزقه، وعمله، وشقي أم سعيد ونحو ذلك).

قوله (جملة وتفصيلا)

جملة :أي تقديرًا عامًا وهو المكتوب في اللوح المحفوظ يعم جميع المخلوقات

وتفصيلاً: أي: تقديرًا خاصًا مفصلًا للتقدير العام وهو:

١ ــ التقدير العمري، كما في حديث ابن مسعود في شأن ما يكتب على الجنين في بطن أمه من أربع الكلمات: رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته.

٢ ــ التقدير حولي، وهو ما يقدر في ليلة القدر من وقائع العام كما في قوله تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}

٣ ــ التقدير يومي وهو ما يقدر من حوادث اليوم من حياة وموت وعزل وذل إلى غير ذلك. كما في قوله تعالى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}

قوله (فهذا التقدير) أي علم الله بأفعال العباد (**قد كان ينكره غلاة القدرية قديما)** ويقولون: إن الله لا يعلم أفعال العبد إلا بعد وجودها(ومنكروه اليوم قليل) ومن ينكر علم الله بأفعال العبد ،كافر؛ لأنه كذب قول الله تعالى (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وخالف المعلوم بالضرورة من الدين.

قوله (وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ؛ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، مَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ.)

قوله (وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ) أي من درجات الإيمان بالقدر

وهذه الدرجة تتضمن شيئين :

١ –المشيئة

٢ –الخلق

أما المشيئة فيجب الإيمان (**بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ؛ إلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ**) وبأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وأن قدرته شاملة لكل شيء من أفعاله وأفعال المخلوقين.

قوله (**لا يكون في ملكه ما لا يريد**) بالإرادة الكونية

أما بالإرادة الشرعية، فيكون في ملكه ما لا يريد.

لأن الإرادة قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية،وقد تقدم الكلم عليها عند الآيات المتعلقة بصفة الارادة والمشيئة

قوله (وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات)

أي أن الله قادر على كل شيء قادر على (الموجودات) أن يعدمها أو يغيرها، وعلى (المعدومات) فيوجدها.

قوله (مَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ،)

قال الله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (**وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ**) أي: إن الله وحده هو الرب المدبر لجميع الأمور(**وَمَعَ ذَلِكَ**) أي ومع عموم خلقه لم يترك العباد هملاً، (**فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ،**) ومع ذلك هو الذي قدر لهم هذا العمل الذي يحبه، فكان فعلهم محبوباً إلى الله مراداً له كوناً وشرعاً(**وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ،**) لكن يقدر أن يكفروا ، ولا يلزم من تقديره الكفر أن يكون راضياً به سبحانه وتعالى، بل يقدره وهو يكرهه ويسخطه (**وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ.**) فلا يلزم من إرادته الشيء أن يكون محبوباً له ، ولا يلزم من كراهته للشيء أن لا يكون مراداً له بالإرادة الكونية ، بل هو عز وجل يكره الشيء ويريده بالإرادة الكونية، ويوقع الشيء ولا يرضى عنه، ولا يريده بالإرادة الشرعية.

(أفعال العباد من فعلهم وهي خلق لله)

قوله (وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُم. وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ .وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ | وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . ﴾

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ (: مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا)

هذه الجملة في بيان أن أفعال العباد من فعلهم وهي خلق لله

قوله (**قوله** (**وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُم.**) فالعبد هو المباشر لفعله حقيقة، والله خالق فعله حقيقة.

قال تعالى: {فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} . وقال: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} .

فأثبت للعبد إتيانا بمشيئته، وإعدادا بإرادته فدل على أن العبد هو المباشر لفعله حقيقة ، وفعله من خلق الله لقوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} ، وعمل الإنسان من الشيء،وقال تعالى : {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} أي :خلقكم وعملكم،

قوله (وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ .)

أي أن الوصف بالإيمان والكفر والبر والفجور والصلاة والصيام وصف للعبد ، لا لغيره؛ فهو المؤمن وهو الكافر، وهو البار، وهو الفاجر، وهو المصلي، وهو الصائم ، ولا يمكن أن يوصف بما ليس من فعله حقيقة، فهم ليسوا مجبرين على هذه الأعمال ولهذا قال (**وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَةٌ**) خلافاً للجبرية القائلين بأنهم لا قدرة لهم ولا إرادة ، بل هم مجبرون عليها.(**وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ**؛) خلافاً للقدرية القائلين بأن الله ليس خالقاً لفعل العبد ولا لإرادته وقدرته.(**كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ**) **رد على الجبرية.**(**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ).** رد على القدرية.

قوله (**وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ**) أي: درجة المشيئة والخلق. (**يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ**) فيقولون إن الإنسان مستقل بعمله ، وليس لله فيه مشيئة ولا خلق، وهولاء هم (**الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ**) لأن المجوس يقولون: إن للحوادث خالقين: خالقاً للخير، وخالقاً للشر! فخالق الخير هو النور، وخالق الشر هو الظلمة.

فالقدرية يشبهون هؤلاء المجوس من وجه؛ لأنهم يقولون: إن الحوادث نوعان: حوادث من فعل الله؛ فهذه خلق الله ، وحوادث من فعل العباد؛ فهذه للعباد استقلالاً ، وليس لله تعالى فيها خلق.

(**وَيَغْلُو فِيهَا**) أي درجة المشيئة والخلق (**قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ،**) أي: إثبات القدر، وهم الجبرية(**حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ**) وقالوا :إنه مجبر على عمله؛ لأنه مكتوب عليه (**وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا**)) لأنهم لا يثبتون لله حكمة أو مصلحة؛ فهو يفعل ويحكم لمجرد مشيئته، ولهذا يثيب المطيع، وإن كان مجبراً على الفعل ، ويعاقب العاصي، وإن كان مجبراً على الفعل .

مسألة : لايصح الإحتجاج بالقدر على فعل المعاصي .

قال الله تعالى (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا))؛ وقالوا ذلك احتجاجاً بالقدر على المعصية فقال الله تعالى لهم:

(كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي: كذبوا الرسل واحتجوا بالقدر (حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا) وهذا يدل على أن حجتهم باطلة؛ إذ لو كانت حجة مقبولة؛ ما ذاقوا بأس الله.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه :" تحاج آدم وموسى ، فقال له موسى: أنت أبونا ، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة؟! فقال له آدم: أن موسى اصطفاك الله بكلامه ، وكتب لك التوراة بيده! أتلومني على أمر قدره علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟!" قال النبي عليه الصلاة والسلام:" فحج آدم موسى"؛

فليس فيه أن آدم عليه السلام احتج بالقدر على معصيته لربه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذا من باب الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب، فموسى لم يحتج على آدم بالمعصية التي هي سبب الخروج، بل احتج بالخروج نفسه.

لأنه من المحال أن موسى علي الصلاة والسلام- وهو أحد أولي العزم من الرسل- يلوم أباه على شيء تاب منه ثم اجتباه الله بعده وتاب عليه وهداه.

وإنما اللوم على المصيبة التي حصلت بفعله، هي إخراج الناس ونفسه من الجنة؛ فإن سبب هذا الإخراج هو معصية آدم؛ على أن آدم عليه الصلاة والسلام لا شك أنه لم يفعل هذا ليخرج من الجنة حتى يلام؛ فكيف يلومه موسى؟!

فموسى عليه السلام لم يرد لوم آدم على فعل المعصية، إنما على المصيبة التي هي من قدر

(حقيقة الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة)

فَصْلٌ

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ .وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ .

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ، وَقَالَ: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ | إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ .

وَلاَ يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ. بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ ، وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى } :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ، وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ .(وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.)

عقد المصنف رحمه الله هذا الفصل لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان وقولهم في حقيقته وحكمهم على مرتكب الكبيرة

قوله (**وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ،قَوْلٌ الْقَلْبِ**) اعترافه وتصديقه (**وَاللِّسَانِ،**) بالنطق(**وَعَمَلُ الْقَلْبِ**) تحركه وإرادته؛ مثل الإخلاص في العمل؛ و التوكل والرجاء والخوف (**وَاللِّسَانِ**) عمله حركاته ، وليست هي النطق، بل النطق ناشئ عنها (**وَالْجَوَارِحِ .**) بفعلها

مسألة :الفرق بين أقوال القلب وأعماله .

أقوال القلب : هي العقائد التي يعتقدها.

وأعمال القلب :هي حركته التي يحبها الله ورسوله، وهي محبة الخير وإرادته الجازمة وكراهية الشر والعزم على تركه

قوله (وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.)

أي: أن من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

ويدل لذلك :

قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) وقوله تعالى: (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانا) وهذا صريح في ثبوت الزيادة.

وأما النقص؛ فقوله صلى الله عليه وسلم حين وعظ النساء وقال لهن:" ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من أحدكن" متفق عليه ،فأثبت نقص الدين.

مسألة :من أسباب زيادة الإيمان

الأول: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته

الثاني: النظر في آيات الله الكونية والشرعية والتفكر فيها

الثالث: كثرة الطاعات

الرابع: ترك المعصية تقرباً إلى الله عز وجل .

ومن أسباب نقص الإيمان :

الأول: الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

الثاني: الإعراض عن النظر في الآيات الكونية والشرعية؛ فإن هذا يوجب الغفلة وقسوة القلب.

الثالث: قلة العمل الصالح

الرابع: فعل المعاصي

قوله (وهم مع ذلك) أي: مع قولهم: إن الإيمان قول وعمل.(**لا يكفرون أهل القبلة**) وهم المسلمون والقبلة هي الكعبة (**بمطلق المعاصي والكبائر**) فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر(**كما يفعله الخوارج**) حين يكفرون فاعل الكبيرة

مسألة :قال المؤلف:" بمطلق المعاصي"، و لم يقل: بالمعاصي والكبائر؛ لأن المعاصي منها ما يكون كفراً ، وأما مطلق المعصية؛ فلا يكون كفراً.

والفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء:

الشيء المطلق: يعني كمال الشيء وبلوغ اعلى مرتبته

ومطلق الشي يعني: وجود أصل الشيء وإن كان ناقصا.

فالمؤمن الفاعل للكبيرة عنده مطلق الإيمان، فأصل الإيمان موجود عنده لكنه ناقص لفقد كماله

قوله (بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي كما قال سبحانه في آية القصاص: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ) فسمى الله سبحانه وتعالى المقتول أخاً للقاتل، مع أن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب.

وقال: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) وقتال المؤمن للمؤمن كفر وقد وصف الله كلا الطائفتين ،وجعل الطائفة المصلحة إخوة للطائفتين المقتتلتين ،ففيه دليل على أن الكبائر لا تخرج من الإيمان.

والعاصي الفاسق نحبه بما معه من الإيمان ، ونكرهه بما معه من المعاصي، وهذا هو العدل.

قوله (ولا يسلبون الفاسق) وهو الخارج عن الطاعة (**الملي)** هو المنتسب إلى ملة الاسلام الذي لم يخرج منها (**الإسلام بالكلية**) فهو ناقص الإسلام أو ناقص الإيمان(**ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة)** وإن كانوا لا يطلقون عليه الكفر في الدنيا فهو عندهم في مترلة بين مترلة الاسلام والكفر

مسألة :الفسق ينقسم إلى قسمين :

الأول : فسق أكبر مخرج عن الإسلام ، ومنه قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ)

الثاني :فسق أصغر ليس مخرجاً عن الإسلام؛ كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ)

والفاسق الذي لا يخرج من الإسلام هو الفاسق المالي، وهو من فعل كبيرة، أو أصر على صغيرة.

قوله (بل الفاسق يدخل في أسم الإيمان كما في قوله تعالى: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) والرقبة المؤمنة يدخل فيه الفاسق.

فمن اشترى رقيقاً فاسقاً وأعتقه في كفارة؛ أجزئه؛ مع أن الله قال: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)؛ فكلمة (مؤمنة) تشمل الفاسق وغيره.

قوله (وقد لا يدخل) الفاسق(**في أسم الإيمان المطلق**) أي الكامل (**كما في قوله تعالى:** (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً**) أي: ما المؤمنون إلا هؤلاء،لأن ـــ(إنما) أداة حصر؛ والمراد بالمؤمنين هنا ذوي الإيمان المطلق الكامل.

فلا يدخل في المؤمنين هنا الفساق؛ لأن الفاسق لو تلوت عليه آيات الله؛ ما زادته إيماناً، ولو ذكرت الله له لم يوجل قلبه.

فمن إذا ذكر الله عنده، لم يؤجل قلبه، وإذا تليت عليه آياته؛ لم يزدد إيماناً.

فيصح أن يقال: إنه مؤمن ، أي: معه مطلق الإيمان؛ يعني: أصله،

ويصح أن يقال: ليس بمؤمن. أي: ليس معه الإيمان الكامل.

(وقوله صلى الله عليه وسلم:" لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)

فنفي صلى الله عليه وسلم عن العبد الإيمان الكامل حين زناه، وسرقته ونهبه وشربه الخمر أما بعد أن يفرغ منها؛ فقد يؤمن؛ لخوفه من الله بعد أن يتم معصيته فيتوب، لكن حين إقدامه عليها لو كان عنده إيمان كامل؛ ما أقدم عليه ، بل إيمانه ضعيف جداً حين أقدم عليه.

قوله (ويقولون هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم)

في هذه الجملة بيان للوصف الذي يستحقه الفاسق الملي عند أهل السنة والجماعة.

فالفاسق الملّي لا يعطى الاسم المطلق في الإيمان، وهو الاسم الكامل ، ولا يسلب مطلق الاسم؛ فلا يقول أهل السنة أنه: ليس بمؤمن ، بل يقولون هو: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

وخالف أهل السنة في ذلك طوائف وهم:

١- المرجئة؛ يقولون مؤمن كامل الإيمان

٢- الخوارج؛ يقولون: كافر

٣- المعتزلة؛ يقولون: في منزلة بين منزلتين بين الايمان والكفر ،فعندهم هو ليس بؤمن ولا كافر بل هو في برزخ بينهما وفي الآخرة يكون خالدا في نار جهنم

خلاصة مذهب أهل السنة في هذا الفصل :

أن الأيمان هو تصديق القلب وقول اللسان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان

ولا يكفر العبد إذا أتى كبيرة ولا يحكم له بالإيمان الكامل بل هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته

(عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب الرسول ﷺ)

فَصْلٌ

قوله (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى }:وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ { ، وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) . وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.)

عقد المصنف هذا الفصل لبيان موقف أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ

الصحابي :هو كل من اجتمع بالرسول صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك.

قوله (**ومن أصول أهل السنة والجماعة**) أي: من أسس عقيدتهم (**سلامة قلوبهم**) من البغض والغل والحقد والكراهة (**وألسنتهم**) من كل قول لا يليق بهم(**لأصحاب رسول الله ﷺ**) وأهل السنة مع صحابة

نبيهم(**كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلـــــــــهِ تَعَالَى{وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ) وهم التابعون لهم بإحسان وتابعوهم إلى يوم القيامة (يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَاغِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }** (**وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ**) إنما كانت قلوبهم والسنتهم سليمة في اصحاب رسول الله طاعة للرسول ﷺ فِي قَوْلِهِ: (**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهُ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ}** وهذا النهي يقتضي التحريم، فلا يحل لأحد أن يسب الصحابة مطلقا

فأهل السنة والجماعة قلوبهم مملوءة بالحب والتقدير والتعظيم لأصحاب رسول الله ﷺ على ما يليق بهم و الثناء عليهم والترضي عنهم والترحم والاستغفار لهم ،لأن محبتهم من محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحبة رسول الله ﷺ ، من محبة الله، وذلك للأمور التالية:

أولاً: لأنهم خير القرون في جميع الأمم، كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم "

ثانياً: لأنهم هو الواسطة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته، فمنهم تلقت الأمة عنه الشريعة.

ثالثاً: ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة.

مسألة : حكم سب الصحابة.

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم أو أن عامتهم فسقوا فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم، كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يُعَزَّر بما يردعه عن ذلك

قوله (وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ـ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ ـ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ .وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ . وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ ـ

وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُم. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) . وَبِأَنَّهُ لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ . وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ .)

قوله (**وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ**)أي أن أهل السنة والجماعة يقبلون ويسلمون لما جاء في الكتاب والسنة والإجماع في فضائل الصحابة ومراتبهم

فهم ليسوا على درجة واحدة في الفضل بل بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة، وبحسب ما قاموا به من أعمال تجاه نبيهم ودينهم ورضي الله عنهم

قوله (وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ــ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ ــ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ)

لقوله تعالى: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى)

فالذين أنفقوا وقاتلوا قبل صلح الحديبية أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكان صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة في ذي القعدة، فالذين أسلموا قبل ذلك، وأنفقوا وقاتلوا أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا.

مسألة :قول المؤلف: " وهو صلح الحديبية ": أي الفتح المراد به في الآية هو صلح الحديبية ،وهذا أحد القولين في الآية ، وهو الصحيح، ودليله قصة خالد بن الوليد مع عبد الرحمن بن عوف، وقول البراء بن عازب: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. رواه البخاري

وقيل: المراد فتح مكة، وهو قول كثير من المفسرين

قوله .(وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ.)

المهاجرون: هم الذين هاجروا إلى المدينة في عهد النبي ﷺوسلم قبل فتح مكة.

والأنصار: هم الذين هاجر إليهم النبي ﷺفي المدينة.

وأهل السنة يقدمون المهاجرين على الأنصار لأن المهاجرين جمعوا بين الهجرة والنصرة، والأنصار أتوا بالنصرة فقط.

فالمهاجرون تركوا أهلهم وأموالهم، وتركوا أوطانهم، وخرجوا إلى أرض هم فيها غرباء، كل ذلك هجرة إلى الله ورسوله، ونصرة لله ورسوله.

والأنصار أتاهم النبي ﷺ في بلادهم، فنصروه و منعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم.

وقُدِّم المهاجرون على الأنصار في الفضل لتقديم الله لهم في قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) وقوله: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) وقوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) ثم قال (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم)

قوله (وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ ــ وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ ــ: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُم. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)

أهل بدر عند أهل السنة في مرتبة علية من مراتب الصحابة.

وهم الذين جعل الله على أيدهم النصر المبين والفرقان العظيم، الذي هاب العرب به رسول الله ﷺ وأصحابه ، وكان لهم منزلة عظيمة بعد هذا النصر، اطلع الله عليهم، وقال: " اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم" فكل ما يقع منهم من ذنوب، فإنه مغفور لهم، بسبب هذه الحسنة العظيمة الكبيرة التي جعلها الله تعالي على أيديهم.

وفي قوله: " اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم" دليل على أن ما يقع منهم من الكبائر مهما عظم، فهو مغفور لهم.

قوله (وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَة)

أصحاب الشجرة هم أصحاب بيعة الرضوان ولهم فضل ومزية ومرتبة

وسبب هذه البيعة أنه لما صد الرسول وأصحابه عن البيت الحرام عام صلح الحديبية وجرى التفاوض، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، لأن له رهطاً بمكة يحمونه، ويخبرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما جاء معتمراً معظماً للبيت، فشاع الخبر بأن عثمان قد قتل، وكبر ذلك على المسلمين، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلي البيعة، على أن يقاتلوا أهل مكة الذين قتلوا رسول رسول الله

صلى الله عليه وسلم –وهو عثمان – وكانت الرسل لا تقتل، فبايع الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن يقاتلوا ولا يفروا إلي الموت. وكان النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يبايع الناس، يمد يده فيبايعونه على هذه البيعة المباركة التي قال الله عنها: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) وكان عثمان رضي الله عنه غائباً، فبايع النبي صلى الله عليه وسلم بيده عن يد عثمان، وقال بيده اليمنى: " هذه يد عثمان".

ثم تبين أن عثمان لم يقتل، وصارت الرسل تأتي وتروح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش، حتى انتهى الأمر على الصلح الذي صار فتحاً مبيناً للرسول عليه الصلاة والسلام.

وهؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت قال الله عنهم: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيماً)وكان من جملة المبايعين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

وهذه شهادة من الله عز وجل بأن كل من بايع تحت الشجرة، فهو مؤمن مرضى عنه،قال ﷺ : " لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة" رواه مسلم.

فالرضى من الله لأهل بيعة الرضوان ثابت بالقرآن، وانتفاء دخول النار ثبت بالسنة.

قوله (وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَـــــــهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قِيْسِ بن شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ)

الشهادة بالجنة نوعان:

الأول :شهادة معلقة بوصف :وهي الشهادة لكل مؤمن أنه في الجنة، وكل متقٍ أنه في الجنة، بدون تعيين شخص أو أشخاص ،وهذه شهادة عامة، يجب الإيمان بها ، لأن الله تعالى أخبر عنها، فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) (خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وقال: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)

الثاني :شهادة معلقة بالشخص:وهي الشهادة لشخص معين، أو لعدد معين أنهم في الجنة.

وهي موقوفة على شهادة الرسول صلي الله عليه وسلم، وإخباره بذلك وهم كالآتي :

١-العشرة المبشرون بالجنة، وهم: الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة ابن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر ابن الجراح ' لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أبي داود والترمذي

٢-أهل بدر ، لقوله صلى الله عليه وسلم "لعل الله اطلع عليهم فقال اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة" متفق عليه والترجي المذكور في قوله (لعل الله) قد صرح العلماء بأنه في كلام الله وكلام رسوله للوقوع. وقد وقع عند أحمد وأبي داود وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة بالجزم، ولفظه «إن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[١٥] وومن حضر بدرا من الصحابة ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً [١٦]

٣- أهل بيعة الرضوان لقوله ﷺ : " لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة" رواه مسلم.

وكانوا ألفا وأربعمائة

٤-ثابت بن قيس فعن أنس بن مالك، أنه قال : لما نزلت هذه الآية(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) جلس ثابت بن قيس في بيته، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال: "يا أبا عمر، وما شأن ثابت؟ أشتكى؟" قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل هو من أهل الجنة) رواه مسلم

٥-الرميصاء أم سليم بنت ملحان، امرأة أبي طلحة الأنصاري

٦-بلال بن رباح لقوله صلى الله عليه وسلم :" رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال)متفق عليه

---

[١٥] - انظر فتح الباري (٣٠٥/٧- باب فضل من شهد بدرا)

[١٦] - وقد سرد البخاري في صحيه من البدريين أربعة وثلاثين غير النبي ﷺ في (باب تسمية من سمي من أهل بدر ، في الجامع) ،وقد ذكر الحافظ ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي من شهد بدرا من المسلمين مرتبة على حروف المعجم في مصنف خاص ،وقد نقله الحافظ ابن كثير "البداية والنهاية" (٥/ ٢١٣ - ٢٥٤)

٧-عبد الله بن سلام لحديث سعد بن أبي وقاص قال : ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية :وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ) متفق عليه

٨-عكاشة بن محصن لحديث عمران بن حصين، قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم :(يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم) رواه مسلم

٩-سعد بن معاذ لحديث البراء رضي الله عنه قال (أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: تعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين) متفق عليه

١٠- الحسن والحسين لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) رواه الترمذي

١١- زيد بن حارثه ،لقوله صلى الله عليه وسلم (دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة) رواه ابن عسكر في تاريخ دمشق وصححه الألباني

رضي الله عنهم أجمعين

قوله(وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا : أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ . وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ . مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضَيَ اللهُ عَنْهُمَا . بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ . أَيُّهُمَا أَفْضَلُ ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا ، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا . لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ .وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ . مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ . لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ . لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا : مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ، وَذَلِكَ

أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.)

قوله (وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَـــا : أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.) وقد روي عن علي من نحو ثمانين وجها وأكثر أنه قال على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، قاله ابن تيمية .

فعن أن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان

وقال الإمام مالك: ما رأيت أحداً يشك في تقديمهما.

وقال اللإمام الشافعي: لم يختلف الصحابة والتابعون في تقديم أبي بكر وعمر.

ومن خرج عن هذا الإجماع، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين.

قوله (وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانُ فِي الْبَيْعَةِ)

فأهل السنة، يجعلون عثمان هو الثالث بعد الشيخين و يجعلون علياً هو الرابع.

وعليه :فأفضل هذه الأمة هؤلاء الأربعة: أبو بكر ، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.

واستدل المؤلف لهذا الترتيب بدليلين:

الأول: قوله: " **كما دلت عليه الآثار** ": وقد سبق ذكر شيء منها.

والثاني: قوله: " **وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة** "فإن إجماعهم على ذلك يستلزم أن عثمان أفضل من علي، وهو كذلك، لأن حكمة الله عز وجل تأبى أن يولى على خير القرون رجلاً وفيه من هو أفضل منه، كما جاء في الأثر: " كما تكونون يولى عليكم" فخير القرون لا يولي الله عليهم إلا من هو خيرهم.

قوله (مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضَيَ اللهُ عَنْهُمَا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ــ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.)

وقع اختلاف قديم بين بعض أهل السنة في أيهما أفضل عثمان أم علي رضى الله عنهم .

وكانت الأقوال في المسألة أربعة :

الأول : وهو المشهور: أفضل الأمة :أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.

الثاني: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم السكوت.

الثالث: أبو بكر، ثم عمر، ثم علي، ثم عثمان.

الرابع: أبو بكر، ثم عمر، ثم نتوقف أيهما أفضل: عثمان أو على، فهم يقولون: لا نقول: عثمان أفضل، ولا علي أفضل، لكن لا نرى أحداً يتقدم على عثمان وعلي في الفضيلة بعد أبي بكر وعمر.

قوله (لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ .وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ ــ مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ــ لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.)

المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما ليست من أصول أهل السنة التي يضلل فيها المخالف، فمن قال: إن علياً أفضل من عثمان، فلا نقول: إنه ضال، بل نقول: هذا رأي من آراء أهل السنة، ولا نقول فيه شيئاً.

والواجب اعتقاد أن الخليفة بعد نبينا في أمته أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان، ثم علي .

ومن قال إن الخلافة لعلي دون هؤلاء الثلاثة، فهو ضال، ومن قال: إنها لعلي بعد أبي بكر وعمر، فهو ضال، لأنه مخالف لإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

وهذا ما أجمع عليه أهل السنة في مسألة الخلافة.

(مكانة أهل بيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند أهل السنة والجماعة)

قوله (وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: (أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي) . وَقَالَ أَيضاً لِلْعَبَّاسِ عَمِّه. وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ. فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ لله وَلِقَرَابَتِي) . وَقَالَ: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ . وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)

في هذه الجملة بيان عقيدة أهل السنة في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

فمن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ي ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية لرسول صلي الله عليه وسلم في التذكير بهم، ولا يتزلونهم فوق متزلتهم، بل يتبرؤون ممن يغلو فيهم.

و يحبونهم لأمرين: للإيمانهم بالله ، ولقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم

مسألة :أهل بيت النبي هم آل النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وبناته من أهل بيته، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ}

قوله (وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم) أي: عهده الذي عهد به إلي أمته.:

(حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ) وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة. والغدير ينسب إلي رجل يسمي (خم)، وهو في الطريق الذي بين مكة والمدينة، قريب من الجحفة، نزل الرسول عليه الصلاة والسلام فيه متزلاً في رجوعه من حجة الوداع، وخطب الناس فقال: **(أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)**.أي: اذكروا انتقام الله إن أضعتم حق آل البيت، واذكروا رحمته وثوابه إن قمتم بحقهم.

قوله (**وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه ــ وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو**) **أي** :يترفع ويكره (**بَنِي هَاشِمٍ ــ فَقَالَ**: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي**).

أي: لا يتم إيمانهم، حتي يحبوكم لله، وهذا المحبة يشاركهم فيها غيرهم من المؤمنين، لأن الواجب على كل إنسان أن يحب كل مؤمن لله، لكن قال: " ولقرابتي ": فهذا حب زائد على المحبة لله، ويختص به آل البيت قرابة النبي عليه الصلاة والسلام.

قوله: (**وقال :إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ**،) ابن إبراهيم الخليل(**وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ**) هو الأب الرابع عشر الرسول الله صلي الله عليه وسلم وعلى أله وسلم.

(**وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا**) هو الأب الحادي عشر لرسول الله صلي الله عليه وسلم، وهو فهر بن مالك، وقيل: الأب الثالث عشر، وهو النضر بن كنانة.(**وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ**) وهاشم هو الأب الثالث لرسول الله صلي الله عليه وسلم. **(وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)**

قوله (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ)

أزواج النبي صلي الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين في الإكرام والاحترام والصلة، قال تعالي: (النبي أولي بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)

وأهل السنة يتولونهم بالنصرة والدفاع عنهن واعتقاد أنهن أفضل أزواج أهل الأرض، لأنهن زوجات الرسول صلي الله عليه وسلم.

وزوجاته –صلى الله عليه وسلم– اللاتي كان فراقهن بالوفاة هن:

١– خديجة بنت خويلد أم أولاده ما عدا إبراهيم، ماتت في السنة العاشرةــ من البعثة قبل المعراج.

٢– عائشة بنت أبي بكر الصديق توفيت سنة ٥٨هـــ.

٣– سودة بنت زمعة العامرية، توفيت آخر خلافة عمر وقيل: سنة ٥٤هـــ.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب وماتت سنة ٤١هـ.

٥- زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، وماتت سنة ٤هـ بعد زواجها بيسير.

٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، ماتت سنة ٦١هـ.

٧- زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته وماتت سنة ٢٠هـ.

٨- جويرية بنت الحارث الخزاعية ، وماتت سنة ٥٦هـ.

٩- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وماتت سنة ٤٤هـ.

١٠- صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير من ذرية هارون بن عمران ،وماتت سنة ٥٠هـ.

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية وماتت فيه سنة ٥١هـ.

فهذه زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- اللاتي كان فراقهن بالوفاة اثنتان توفيتا قبله وهما: خديجة وزينب بن خزيمة، وتسع توفي عنهن وهن البواقي.

وبقى اثنتان لم يدخل بهما ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما:

١- أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم فارقها

٢- أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية، وهي التي قالت: "أعوذ بالله منك" ففارقها

قوله (وَيُؤْمِنُونَ بَأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ)

لقوله تعالى: (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) فقال : (وأزوجهم) ، فأثبت الزوجية لهن بعد دخول الجنة، وهذا يدل على أن زوجة الإنسان في الدنيا تكون زوجته في الآخرة إذا كانت من أهل الجنة.

وعن حذيفة أنه قال لامرأته: " إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا فلذلك حرم الله على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة . رواه البيهقي

وقال عمار بن ياسر عن عائشة رضى الله عنها :"والله إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة" رواه البخاري

وقال ابن كثير عند قوله تعالى {وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما} أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم على غيره تزويجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين

قوله (خُصُوصًا) أمنا(**خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**) وهي أول ما تزوج، وكان عمره حينذاك خمساً وعشرين سنة، وعمرها أربعين سنة (**أَمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ**) ابنان وأربع بنات: القاسم، ثم عبد الله، ويقال له: الطيب، والطاهر. و البنات،: زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. وأكبر أولاده القاسم، وأكبر بناته زينب.(**وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِه**) في أول رسالته(**وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ**)فكان يذكرها دائمًا و لم يتزوج عليها حتى ماتت.

قوله (وَالصِّدِّيقَةَ) لكمال تصديقها لرسول الله صلي الله عليه وسلم، وكمال صدقها في معاملته، وصبرها على ما حصل من الأذي في قصة الإفك(**بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**) أبو بكر صديق جميع الأمم لأن هذه الأمة أفضل الأمم، فإذا كان صديق هذه الأمة، فهو صديق غيرها من الأمم.(**الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)**[١٧] وظاهر الحديث أنها فضلت على جميع نساء العالمين

وقيل: إن المراد: فضل عائشة على النساء، أي من أزواجه اللاتي على قيد الحياة، فلا تدخل في ذلك خديجة.

ولكن ليست أفضل من فاطمة باعتبار النسب، لأن فاطمة بلا شك أشرف من عائشة نسباً.

وأما منزلة، فإن عائشة رضي الله عنها لها من الفضائل العظيمة ما لم يدركه أحد غيرها من النساء.

---

[١٧] - ضرب المثل بالثريد لأنه أفضل طعام العرب، وأنه مركب من الخبز واللحم والمرقة، ولا نظير لها في الأغذية، ثم إنه جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ، وسرعة المرور في الحلقوم والمريء، فضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لها المثل به ليعلم أنها أعطيت مع حسن الخلق، وحسن الخلق، وحسن الحديث، وحلاوة المنطق، وفصاحة اللهجة، وجودة القريحة، ورزانة الرأي، ورصانة العقل التحبب إلى البعل، فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها وإلى غير ذلك من المعاني التي اجتمعت فيها، وحسبك من تلك المعاني أنها عقلت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما لم تعقل غيرها من النساء، وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال(انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٩٩٣/٩)

قوله (وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ . وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ . وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ . وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ .وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ.إِنْ صَدَرَ.، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ . وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا

مِمَّن بَعْدَهُمْ. ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ. ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لاَ كَانَ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ.)

في هذه الجملة بيان موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة وأهل البيت وأنه موقف الاعتدال والوسط بين الإفراط والتفريط والغلو والجفاء

قوله ((وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ)

الروافض: طائفة غلاة في علي بن أبي طالب وآل البيت، وهم من أضل أهل البدع، وأشدهم كرهاً للصحابة رضي الله عنهم

و النواصب

ك هم الذين ينصبون العداء لأل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبونهم، فهم على النقيض من الروافض.

وسب الصحابة رضي الله عنهم هو قدح في النبي صلى الله عليه وسلم وفي شريعة الله وفي الله عز وجل فكونه قدحاً في رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين:

الأول : تكذيبه فيما أخبر به من فضائلهم ومناقبهم

الثاني : أنه اتخذ شرار الخلق أصحاب له وخلفاء على أمته

وأما كونه قدحاً في شريعة الله: فلأن الواسطة بيننا وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم في نقل الشريعة هم الصحابة، فإذا سقطت عدالتهم، لم يبق ثقة فيما نقلوه من الشريعة.

وأما كونه قدحاً في الله سبحانه: فحيث بعث نبيه صلى الله عليه وسلم في شرار الخلق، واختارهم لصحبته وحمل شريعته ونقلها لأمته

قوله (وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ) أي :عما وقع بينهم من التراع.

فالصحابة رضي الله عنهم وقعت بينهم بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزاعات، واشتد الأمر بعد مقتل عثمان، فوقع بينهم ما وقع، مما أدي إلي القتال.

وما وقع منهم كان عن تأويل واجتهاد كل منهم يظن أنه على حق، واعتقادهم أنهم على حق لا يستلزم أن يكونوا قد أصابوا الحق.

فإذا كانوا مخطئين، فقد وقع فعلهم عن اجتهاد، و ثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه: " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر" فهم مخطئون مجتهدون، فلهم أجر واحد.

مسألة : موقف أهل السنة مما حصل بين الصحابة له جهتان:

الأولى: الحكم على الفاعل:فما جري بينهم، فهو صادر عن اجتهاد، والاجتهاد إذا وقع فيه الخطأ، فصاحبه معذور مغفور له.

الثانية: موقفنا من الفاعل، فالواجب علينا الإمساك عما شجر بينهم

فعلي المتبع تجاه هذه الأمور أن يسكت عما جري بين الصحابة وأن لا يطالع الأخبار أو التاريخ في هذه الأمور، إلا للضرورة

مسألة : أقسام المرويات الواردة في مساؤي الصحابة.

قوله **(وَيَقُولُونَ)** أي: أهل السنة (**إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ)أي** الصحابة على أقسام :

القسم الأول : (**(مِنْهَا**) أي المرويات **(مَا هُوَ كَذِبٌ)** محض لم يقع منها شيء

والقسم الثاني : (**وَمَنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ)** أي : مرويات لها أصل، لكن زيد فيها ونقص وغير عن وجهها ، وهذان القسمان كلاهما يجب رده.

القسم الثالث: **(وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.)**

أي :مرويات صحيحة، فهم فيها رضى الله عنهم معذرون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون ،والمجتهد إن أصاب، فله أجران، وإن أخطأ،فله أجر واحد،فما جري بين معاوية وعلى رضي الله عنهما صادر عن اجتهاد وتأويل،والصواب مع علي رضى الله عنه ، إلا إن معاوية كان مجتهداً.

ويدل لذلك أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "ويح عمارا تقتله الفئة الباغية"فكان الذي قتله أصحاب معاوية، وبهذا عرفنا أنها فئة باغية خارجة على الإمام، لكنهم متأولون،

القسم الرابع : وهو ما وقع منهم من سيئات حصلت لا عن اجتهاد ولا عن تأويل **(وَهُم مَّعَ ذَلِكَ)** أي أهل السنة **(لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ)** لقوله صلي الله عليه وسلم: " كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" ولكن العصمة في إجماعهم؛ فلا يمكن أن يجمعوا على شيء من كبائر الذنوب وصغائرها فيستحلوها أو يفعلوها.

ولكن الواحد منهم قد يفعل شيئاً من الكبائر، كما حصل من مسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش في قصة الإفك ولكن هذا الذي حصل تطهروا منه بإقامة الحد عليهم.

والصحابة كغيرهم من البشر تصدر منهم الذنوب، لكن يمتازون عن غيرهم بما قال المؤلف رحمه الله: " **ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر".**

هذا من الأسباب التي يمحو الله بها عنهم ما فعلوه من الصغائر أو الكبائر، وهو ما لهم من السوابق والفضائل التي لم يلحقهم فيها أحد، فهم نصروا النبي عليه الصلاة والسلام، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وبذلوا رقابهم لإعلاء كلمة الله،

(حتى أنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم خير القرون، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به، كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهمثم إن كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتي بحسنات تمحوه) لقوله تعالي: " إن الحسنات يذهبن السيئات" **(أو غفر له بفضل سابقته)**لقوله تعالي في الحديث القدسي في أهل بدر: " اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم " .

(أو بشفاعة محمد صلي الله عليه وسلم الذين هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه) لقوله صلى الله عليه وسلم" ما من مسلم يصيبه أذي من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها" **(فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين:**

إن أصابوا، فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفو ،ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح) فكل هذه مناقب وفضائل معلومة مشهورة، تغمر كل ما جاء من مساوئ القوم المحققة، فكيف بالمساوئ غير المحققة أو التي كانوا فيها مجتهدين متأولين.(**ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله عليهم به من الفضائل، علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء ،لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى**) لقوله عليه الصلاة والسلام: " خير الناس قرني "

وخلاصة الأسباب التي ذكرها المؤلف التي ترفع القدح في الصحابة، قسمان:

الأول: خاص بهم، وهو مالهم من السوابق والفضائل والمحاسن.

والثاني: عام، وهى التوبة، والحسنات الماحية، وشفاعة النبي صلي الله عليه وسلم ، والبلاء.

(عقيدة أهل السنة في كرامات الأولياء)

قوله (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.)

في هذه الجملة بيان أصل من أصول أهل السنة والجماعة هو التصديق بكرامات الأولياء

والأولياء: جمع ولي، والولي : وهو كل مؤمن تقي ، أي: قائم بطاعة الله على الوجه المطلوب شرعًا بالإخلاص لله ومتابعة رسول الله

قال تعالى (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) فالإيمان: العقيدة، والتقوى: العمل قولا كان أو فعلا، فالولاية إنما تنال بالإيمان والتقوى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " من كان مؤمناً تقياً، كان لله ولياً " .

والكرامات: جمع كرامة، وهي أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى علي يد ولي، تأييداً له، أو إعانة، أو تثبيتاً، أو نصراً للدين.

وهذا الأمر الخارق للعادة إنما يجريه الله علي يد ولي من أولياءه، احترازاً من أمور السحر والشعوذة، فإنها أمور خارقة للعادة، لكنها تجري على يد غير أولياء الله، بل على يد أعداء الله، فلا تكون هذه كرامة.

وقد كثرت هذه االخزعبلات التي تدعي أنها كرامات في هؤلاء المشعوذين الذين يصدون عن سبيل الله ، فالواجب الحذر منهم ومن تلاعبهم بعقول الناس وأفكارهم.

مسألة :الكرامة ثابتة بالقرآن والسنة، والواقع سابقاً ولاحقاً.:

فمن الكرامات الثابتة بالقرآن لمن سبق :قصة أصحاب الكهف، و قصة مريم رضي الله عنها، أكرمها الله حيث جاءها المخاض إلى جذع النخلة، وأمرها الله أن تهز بجذعها لتتساقط عليها رطباً جنياً.

وقصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثة، كرامة له، ليتبين له قدرة الله تعالى، ويزداد ثباتاً في إيمانه.

أما في السنة ، فالكرامات كثيرة[١٨]، منها مارواه مسلم عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما رجل بأرض فلاة فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة ،فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك قال: فلان، الاسم الذي سمع في السحابة فقال له: يا عبد الله لم سألتني عن

[١٨] - انظر (شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ،جزء كرامات الأولياء)

اسمي؟ قال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان باسمك فما تصنع فيها قال: أن قلت هذا فإني أنظر إلى ما خرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه)

وعن أنس – رضي الله عنه – : أن أسيد بن حضير، وعباد بن بشر خرجا من عند النبي – صلى الله عليه وسلم – ، في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما . فلما افترقا ، صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله"رواه البخاري

وأما شهادة الواقع بثبوت الكرامات، فظاهر، يعلم به المرء في عصره، إما بالمشاهدة، وإما بالأخبار الصادقة.

مسألة : ولناس في كرامات الأولياء على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : من ينفيها من المبتدعة وشبهتهم : أن الخوارق لو جاز ظهورها على أيدي الأولياء لالتبس النبي بغيره، إذ الفرق بين النبي وغيره هو المعجزة التي هي خرق العادة .

الصنف الثاني : من يغلو في إثبات الكرامة من أصحاب الطرق الصوفية والقبوريين الذين يدجلون على الناس ويأتون بخوارق شيطانية، كدخول النار وضرب أنفسهم بالسلاح وإمساك الثعابين، وغير ذلك مما يدعونه لأصحاب القبور من التصرفات التي يسمونه كرامات .

الصنف الثالث : وهم أهل السنة والجماعة فيؤمنون بكرامات الأولياء ويثبتونها على مقتضى ما جاء في الكتاب والسنة . ويردون على من نفاها بحجة منع الاشتباه بين النبي وغيره : بأن هناك فوارق عظيمة بين الأنبياء وغيرهم غير خوارق العادات . وأن الولي لا يدعي النبوة ولو ادعاها لخرج عن الولاية وصار مدعيا كذابًا لا وليًا،.

ويردون على من غلا في إثباتها فادعاها للمشعوذين والدجالين، بأن هؤلاء ليسوا أولياء الله، وإنما هم أولياء للشيطان وما يجري عليهم إما كذب وتدجيل، أو فتنة لهم ولغيرهم واستدراج،

مسألة :الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة والمشعوذين والدجالين

١-: كرامات الأولياء سببها التقوى والعمل الصالح، وأعمال المشعوذين سببها الكفر والفسوق والفجور .

٢-: كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى أو على أمور مباحة، وأعمال المشعوذين والدجالين يستعان بها على أمور محرمة؛ من الشرك والكفر وقتل النفوس .

٣- : كرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده، وخوارق السحرة والمشعوذين تبطل أو تضعف عند ذكر الله وقراءة القرآن والتوحيد .

مسألة :قال العلماء: كل كرامة لولي، فهي آية للنبي الذي اتبعه، لأنها تصديق لطريق هذا الولي المتبع للرسول؛ فتكون آية على صدق الرسول، وصحة شريعتة

وعلي هذا، ما جري من الكرامات للأولياء من هذه الأمة فإنها آيات لرسول الله صلي الله عليه وسلم .

مسألة :الكرامات، في التابعين أكثر منها في الصحابة، لأن الصحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما يستغنون به عن الكرامات فإن الرسول صلي الله عليه وسلم كان بين أظهرهم، وأما التابعون، فإنهم دون ذلك، ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييداً لهم وتثبيتاً ونصراً للحق الذي هم عليه.

مسألة : الكرامات لها أربع دلالات:

أولاً: بيان كمال قدره الله عز وجل، حيث حصل هذا الخارق للعادة بأمر الله.

ثانياً: تكذيب القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل، لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل، لكانت الطبيعة على نسق واحد لا يتغير، فإذا تغيرت العادات والطبيعة، دل على أن للكون مدبراً وخالقاً.

ثالثا: أنها آية للنبي المتبوع ،كما تقدم

رابعاً: أن فيها تثبيتاً وكرامة لهذا الولي.

قوله (في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات)

أراد رحمه الله أن الكرامة تنقسم إلي قسمين:

الأول : كرامات تتعلق بالعلوم والمكاشفات

أما العلوم، بأن يحصل للولي من العلوم ما لا يحصل لغيره.

وأما المكاشفات، فأن يظهر له من الأشياء التي يكشف له عنها ما لا يحصل لغيره.

كما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان يخطب الناس يوم الجمعة على المنبر، فسمعوه يقول: يا سارية ! الجبل ! فتعجبوا من هذا الكلام، ثم سألوه عن ذلك ؟

فقال: إنه كشف له عن سارية بن زنيم وهو أحد قواده في العراق ، وأنه محصور من عدوه، فوجهه إلي الجبل، وقال له: يا سارية ! الجبل! فسمع سارية صوت عمر، وانحاز إلى الجبل، وتحصن به

الثاني : كرامات تتعلق بالقدرة والتأثيرت.

مثل ما وقع لمريم من هزما لجذع النخل وتساقط الرطب عليها، ومثل ما وقع للذي عنده علم من الكتاب، حيث قال لسليمان: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. وكما وقع للعلاء بن الحضرمي حين عبر البحر يمشي على متن الماء

قوله (وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أي الكرامات

يدل لهذا ما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الدجال أنه يخرج الدجال فيتوجه إليه رجل من المؤمنين فتلقاه مسالح (أي :أعوان) الدجال فيقولون له :أين تعمد، فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا، فيقول: ما بربنا خفاء ،فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه، فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأمر الدجال به فيشبح (أي :يمد على بطنه) فيقول: خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا ،فيقول: أو ما تؤمن بي فيقول: أنت المسيح الكذاب ، فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ، ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم فيستوي قائما ، ثم يقول له أتؤمن بي ،فيقول :ما ازددت فيك إلا بصيرة ، ثم يقول :يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس ، فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا ، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار وإنما ألقى في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين" رواه مسلم

فعدم تمكن الدجال من قتل ذلك الشاب من الكرامات.

فصل

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، حَيْثُ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) . وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ . وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الإِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ .وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِينِ . وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ . وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ)

لما فرغ المؤلف مما يريد ذكره من طريقة أهل السنة العقدية، شرع في ذكر طريقتهم في عموم الدين أصوله وفروعه وأوصافهم التي تميزوا بها عن أهل البدع

قوله (ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَاطِنًا وَظَاهِرًا،)

أي: سلوك طريقه والسير على منهاجه في الأعمال الظاهرة وأعمال القلوب الباطنة

مسألة :آثار الرسول صلى الله عليه وسلم تنقسم إلى أربعة أقسام:

أولاً: ما فعله على سبيل التعبد، فنحن مأمورون باتباعه، لقوله تعالي: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

ثانياً: ما فعله اتفاقاً و لم يقصد به التعبد ، فهذا لا يشرع لنا التأسي فيه، لأنه غير فهو فعله لا على سبيل القصد للتعبد،.كقدومه إلى مكة في الحج في اليوم الرابع من ذي الحجة

ثالثاً: ما فعله بمقتضى العادة، فيشرع لنا التأسي بجنسه لا بنوعه ،بمعني :أن نفعل ما تقتضيه العادة التي كان عليها الناس، إلا أن يمنع ذلك مانع شرعي.كلبسه العمامة وإنما ذلك لعادة قومه

وهذه المسألة قل من يتفطن لها من الناس، يظنون أن التأسي به فيما هو علي سبيل العادة بالنوع، ثم ينفون التأسي به في ذلك..

رابعاً: ما فعله بمقتضى الجبلة، كالنوم والمشي ونحوه فهذا ليس من العبادات قطعاً.

قوله (وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) لأنهم أقرب إلي الصواب والحق ممن بعدهم**(وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم)** الوصية : هي العهد إلي غيره بأمر هام. **(حَيثُ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي)** أي :الزموها بالتمسك بها واتباعها (**وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**) وهم الذين خلفوا النبى صلي الله عليه وسلم في أمته علماً وعملاً ودعوة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم**(الْمَهْدِيْينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)** كناية عن شدة التمسك بها، والنواجذ: آخر الأضراس. ، **(وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛)**أي البدع في أمور الدين (**فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)** فكل من تعبد لله بعقيدة أو قول أو فعل لم يكن من شريعة الله، فهو مبتدع.

مسألة :البدعة تستلزم محاذير فاسدة:

أولاً: تستلزم تكذيب قول الله تعالي: (اليوم أكملت لكم دينكم) لأنه إذا جاء ببدعة جديدة يعتبرها ديناً، فمقتضاه أن الدين لم يكمل.

ثانياً: تستلزم القدح في الشريعة، وأنها ناقصة، فأكملها هذا المبتدع.

ثالثاً: تستلزم القدح في المسلمين الذين لم يأتوا بها، فكل من سبق هذه البدع من الناس دينهم ناقص! وهذا أمر خطير

رابعاً:من لوازم هذه البدعة أن الغالب أن من اشتغل ببدعة، انشغل عن سنة، كما قال بعض السلف: " ما أحدث قوم بدعة، إلا هدموا مثلها من السنة".

خامساً: أن هذه البدع توجب تفرق الأمة، لأن هؤلاء المبتدعة يعتقدون أنهم أصحاب الحق، ومن سواهم علي ضلال!! وأهل الحق يقولون: أنتم الذين على ضلال ! فتتفرق قلوبهم.

مسألة :ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حين خرج إلى الناس وهم يصلون بإمامهم في رمضان، فقال: نعمت البدعة هذه". فأثني عليها، وسماها بدعة؟ !

الجواب :ما اثنى عليها عمر رضى الله عنه لا ينطبق عليها وصف البدعة الشرعية، لأنه قد ثبت أن النبي صلي الله عليه وسلم صلي بأصحابه في رمضان ثلاث ليال، ثم تركه خوفاً من أن تفرض عليهم ، فثبت أصل المشروعية، وانتفي أن تكن بدعة شرعية، ولا يمكن أن نقول: إنها بدعة، والرسول صلي الله عليه وسلم قد صلاها.

وإنما سماها عمر رضي الله عنه بدعة، لأن الناس تركوها، وصاروا لا يصلون جماعة بإمام واحد، بل أوزاعاً، الرجل وحده والرجلان والثلاثة والرهط، فلما جمعهم علي إمام واحد، صار اجتماعهم بدعة بالنسبة لما كانوا عليه أولاً من هذا التفرق.

إذاً، هي بدعة نسبية، باعتبار أنها تركت ثم أنشئت مرة أخري ،فهذا وجه تسميتها ببدعة.

قوله (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، وَيُؤْثِرُونَ) أي :ويقدمون (**كَلاَمَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ**) في الخبر والحكم، (**وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم**) أي :طريقته وسنته التي عليها. (**عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ. وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**) لتصديقهما والتزامهما وإيثارهما على غيرهما(**وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الإِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ،**) لأنهم مجتمعون على السنة، متالفون فيها(**وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ .وَالإِجمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ**) بعد الكتاب والسنة (**الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدينِ**) قال تعالى {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولي ونصله جهنم وساءت مصيراً} (**وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِه الأُصُولِ الثَّلاثَةِ**) الكتاب والسنة والإجماع (**جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ**) فلا يعرفون أنه حق، إلا إذا وزنوه بالكتاب والسنة والإجماع، فإن وجد له دليل منها، فهو حق، وإن كان على خلافه، فهو باطل.(**وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ**) ويمكن الإحاطة به (**هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ**) وهم القرون الثلاثة المفضلة، الصحابة والتابعون وتابعوهم.(**إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلاَفُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ**) فصارت الإحاطة به من أصعب الأمور.

فصل

ثُمَّ هُم مَّعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ :وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ. وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بُالْحُمَّى وَالسَّهَرِ) . وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) . وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.)

عقد رحمه الله هذا الفصل في بيان مكملات عقيدة أهل السنة والجماعة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي تحلى بها أهل السنة

قوله (**ثُمَّ هُم**) أي: أهل السنة والجماعة. (**مَّعَ هَذِهِ الأُصُولِ**) وهي اتباع الكتاب والسنة واجماع القرون المفضلة (**يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**) والمعروف: كل ما أمر به الشرع ، فهم يأمرون به. (**وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ**) وهو كل ما نهي عن الشرع ، لقوله تعالى {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} (**عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ**) أي يشترط للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أن يكونا على ما توجبه الشريعة وتقتضيه.

مسألة:شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي :

الأول: أن يكون عالماً بحكم الشرع فيما يأمر به أو ينهي عنه،

الثاني: أن يعلم بحال المأمور: هل هو ممن يوجه إليه الأمر أو النهي أم لا؟

الثالث: أن يكون عالماً بحال المأمور حال تكليفه، هل قال بالفعل أم لا؟

الرابع: أن يكون قادراً على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا ضرر يلحقه، فإن لحقه ضرر، لم يجب عليه، لكن إن صبر وقام به، فهو أفضل.

الخامس: أن لا يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدة أعظم من السكوت، فإن ترتب عليها ذلك، فإنه لا يلزمه، بل لا يجوز له أن يأمر بالمعروف أو ينهي عن المنكر.

مسألة : درجات انكار المنكر.

"انكار المنكر لا يخلو من أحوال :

١-أن يزول المنكر، فالإنكار واجب

٢-أن يتحول إلى منكر أخف منه، فالإنكار واجب

٣- أن يتحول إلى منكر مثله، فمحل نظر، هل يُرجَّح الإنكار أو لا، فقد يرجح الإنكار لأن الإنسان إذا تغيرت به الأحوال وانتقل من شيء إلى شيء ربما يكون أخف، وقد يكون الأمر بالعكس بحيث يكون بقاؤه على ما هو عليه أحسن من نقله لأنه إذا تعود التنقل انتقل إلى منكرات أخرى

٤-أن يتحول إلى منكر أعظم منه.فلا يجوز الإنكار، لأن المقصود بإنكار المنكر إزالته أو تخفيفه.

مسألة : يجب على العبد المسلم المكلف أن يأمر بالمعروف، وإن كان لا يأتيه، وينهى عن المنكر، وإن كان يأتيه.

لأنه مأمور بأمرين: الأول: فعل البر، والثاني: الأمر بالبر.

ومنهي عن أمرين: الأول: فعل المنكر، والثاني: ترك النهي عن فعله.

فلا يجمع بين ترك المأمورين وفعل المنهيين، فإن ترك أحدهما لا يستلزم سقوط الآخر.

وقوله (وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا)

أهل السنة رحمهم الله يخالفون أهل البدع فيرون إقامة الحج والجهاد مع الأمير، وإن كان من أفسق عباد الله ،لأنهم يرون أن طاعة ولي الأمر واجبة، وإن كان فاسقاً، وفي التخلف عنهم شق لعصا الطاعة الذي يترتب عليه شقه أمور عظيمة، ومصائب جسيمة.

بشرط أن لا يخرجه فسقه إلي الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان، فهذا لا طاعة له، ويجب أن يزال عن تولي أمور المسلمين،إن قدر على ذلك، لكن الفجور الذي دون الكفر مهما بلغ، فإن الولاية لا تزول به، بل هي ثابتة، والطاعة لولي الأمر واجبة في غير المعصية.

خلافاً للخوارج، الذين يرون أنه لا طاعة للإمام والأمير إذا كان عاصياً، لأن من قاعدتهم: أن الكبيرة تخرج من الملة.

مسألة :الأمور التي فيها تأويل واختلاف بين العلماء إذا ارتكبها ولاة الأمور، لا يحل لنا منابذتهم ومخالفتهم، لكن يجب علينا مناصحتهم بقدر المستطاع فيما خالفوا فيه، مما لا يسوغ فيه الاجتهاد، وأما ما يسوغ فيه الأجتهاد، فنبحث معهم فيه بحث تقدير واحترام، لنبين لهم الحق، لا على سبيل الانتقاد لهم والانتصار للنفس، وأما منابذتهم وعدم طاعتهم، فليس من طريق أهل السنة والجماعة.

قوله (وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ.)أي: يحافظ أهل السنة والجماعة على الجماعات، أي: علي إقامة الجماعة في الصلوات الخمس، ويدخل في الجماعات الاجتماع على الرأي وعدم التراع فيه، فإن هذا ما أوصي به النبي صلي الله عليه وعلي آله وسلم معاذ بن جبل وأبا موسي حين بعثهما إلي اليمن، فقال: " يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا، ولا تختلفا "

قوله (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ)" أي: يتعبدون لله عز وجل بالنصيحة للأمة، ويعتقدون ذلك ديناً.

وأئمة المسلمين: كل من ولاه الله أمراً من أمور المسلمين، فهو إمام في ذلك الأمر.

فهناك إمام عام كرئيس الدولة، وهناك إمام خاص، كالأمير والوزير والمدير والرئيس وأئمة المساجد وغيرهم.

فأهل السنة ينصحون للأمة طاعة لله تعالى وتديناً له، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث تميم بن أوس الداري: " الدين النصيحة، الدين النصيحة " . قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال: " لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم "

فالنصيحة لله: صدق الطلب في الوصول إليه. بإخلاص العبادة له و الشهادة له بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

والنصيحة للرسول عليه الصلاة والسلام: صدق الاتباع له، ويستلزم ذلك الذود عن دين الله عز وجل، الذي جاء به رسول صلي الله عليه وسلم، ولهذا قال " ولكتابه " .

فينصح للقرآن ببيان أنه كلام الله، وأنه منزل غير مخلوق، وأنه يجب تصديق خبره وامتثال أحكامه، وهو كذلك يعتقده في نفسه.

والنصيحة للأمراء تكون بأمور منها:

أولاً: اعتقاد إمامتهم وإمرتهم، فمن لم يعتقد أنهم أمراء فإنه لم ينصح لهم، لأنه إذا لم يعتقد أنهم أمراء فلن يمتثل أمرهم ولن ينتهي عما نهوا عنه، فلا بد أن يعتقد العبد أنه إمام ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، ومن تولى أمر المسلمين ولو بالغلبة فهو إمام، سواء كان من قريش أومن غير قريش.

ثانياً: نشر محاسنهم في الرعية، لأن ذلك يؤدي إلى محبة الناس لهم، وإذا أحبهم الناس سهل انقيادهم لأوامرهم.

وهذا عكس ما يفعله بعض الناس حيث ينشر المعايب ويخفي الحسنات، فإن هذا جورٌ وظلم.

ثالثاً: امتثال ما أمروا به وما نهوا عنه، إلا إذا كان في معصية الله عزّ وجل لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وامتثال طاعتهم عبادة وليست مجرد سياسة، بدليل أن الله تعالى أمر بها فقال عزّ وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأولي الأمر منكم) فجعل ذلك من مأموراته عزّ وجل، وما أمر الله تعالى به فهو عبادة.

ولا يشترط في طاعتهم ألاّ يعصوا الله، فطاعتهم فيما أمروا به وإن عصوا الله، لأن العبد مأمور بطاعتهم وإن عصوا الله في أنفسهم.

رابعاً: ستر معايبهم مهما أمكن، إذ ليس من النصيحة نشر معايبهم، لما في ذلك من ملئ القلوب غيظاً وحقداً وحنقاً على ولاة الأمور، وإذا امتلأت القلوب من ذلك حصل التمرّد وربما يحصل الخروج على الأمراء فيحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به عليم.

وليس معنى ستر المعايب ، السكوت عن المعايب، بل ينصح الأمير مباشرة إن تمكن من ذلك، وإلا فبواسطة من يتصل به من العلماء وأهل الفضل.

ولهذا أنكر أسامة بن زيد رضي الله عنه على قوم يقولون له ألا تدخل على عثمان فتكلمه فقال "أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم ،والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه.) رواه مسلم

فمن نصح الأمير قلا يحدث بما قال للأمير، لأنه إذا حدث بهذا فإما أن يكون الأمير نفذ ما قال، فيقول الناس: الأمير خضع وذل، وإما أن لا ينفذ فيقول الناس: عصى وتمرّد.

ولذلك من الحكمة إذا نصح ولاة الأمور أن لا يُبين ذلك للناس، لأن في ذلك ضرراً عظيماً.

خامساً: عدم الخروج عليهم، وعدم المنابذة لهم،إلا إذ أتوا كُفْرًا بَوَاحًا ليس فيه احتمال.مع القدرة على ذلك بشرط أن لا تراق دماء المسلمين

و عليه فلا يخرج عليهم -حتى ولو رأينا كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان- إلا حيث يكون الخروج مصلحة، وليس من المصلحة أن تقوم فئة قليلة سلاحها قليل في وجه دولة بقوتها وسلاحها، لأن هذا يترتب عليه إراقة الدماء واستحلال الحرام دون ارتفاع المحذور الذي انتقدوا به الأمراء، كما هو مشاهد من عهد خروج الخوارج في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إلى يومنا هذا، حيث يحصل من الشر والمفاسد ما لا يعلمه إلاربُّ العباد.

لكن بعض الناس تتوقد نار الغيرة في قلوبهم ثم يحدثون ما لا يحمد عقباه، وهذا غلط عظيم.

قوله (وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا)، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بُالْحُمَّى وَالسَّهَرِ). أي: أنهم يشتركون في الآمال والآلام، فيرحم بعضهم بعضاً

قوله(**وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ**) أي عند المصيبة

والصبر: هو وحبس النفس عن التسخط بالقلب أو اللسان أو الجوارح.

وأفضله وأعلاه الصبر عند الصدمة الأولى لقوله صلى الله عليه وسلم (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) متفق عليه

و الصبر على بلاء الدنيا، بتحمل المصيبة.

وأما الصبر على بلاء الدين،بالثبات على الدين ، وأن لا يتزعزع العبد عنه، فيكون كمن قال الله تعالى فيهم: (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله)

قوله (وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ) أي عن سعة العيش ورغده

قوله (**وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ**.)الرضا درجة أعلى من الصبر

ومر القضاء: هو ما لا يلائم طبيعة الإنسان.

فإذا قضي الله قضاء لا يلائم طبيعة البشر، وتأذي به، سمي ذلك مر القضاء، فهو ليس لذيذاً ولا حلواً، بل هو مر، فهم يأمرون بالرضى بمر القضاء.

مسألة : مر القضاء لأهل السنة فيه نظران:

الأول: باعتباره فعلاً واقعاً من الله.فيجب الرضى به وعدم الاعتراض عليه ، لأن هذا من تمام الرضى بالله رباً.

الثاني: باعتباره مفعولاً له.فهذا يسن الرضي به، ويجب الصبر عليه.

فالمرض باعتبار كون الله قدره، فالرضي به واجب، وباعتبار المرض نفسه يسن الرضي به ، وأما الصبر عليه، فهو واجب، والشكر عليه مستحب.

مسألة :المصابون لهم تجاه المصائب أربعة مقامات:

الأول: السخط :ففعله حرام بل هو من كبائر الذنوب، مثل أن يلطم خده، أو ينتف شعره، أو يشق ثوبه، أو يقول: واثبوراه! أو يدعو على نفسه بالهلاك وغير ذلك مما يدل على السخط،

الثاني: الصبر. بأن يحبس نفسه قلباً ولساناً وجوارح عن التسخط، فهذا واجب

الثالث: الرضا: والفرق بينه وبين الصبر: أن الصابر يتجرع المر، لكن لا يستطيع أن يتسخط، إلا أن هذا الشيء في نفسه. صعب ومر

لكن الراضي لا يذوق هذا مراً، بل هو مطمئن، وكان هذا الشيء الذي أصابه لا شيء.

والرضا بالمقضي مستحب

الرابع: الشكر: وهو أن يقول بلسانه وحاله: " الحمد لله"، ويري أن هذه المصيبة نعمة، وهذا المقام، يكون لمن وقفه الله تعالي

فإذا علم أن هذه المصيبة كفارة للذنب، وأن العقوبة على الذنب في الدنيا أهون من تأخير العقوبة في الآخرة، صارت هذه المصيبة عنده نعمة يشكر الله عليها.

وأن هذه المصيبة إذا صبر عليها، أثيب، لقوله تعالي: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بغير حساب) فيشكر الله على هذه المصيبة الموجبة للأجر.

قوله (وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاق،)أي أطايبها **(وَمَحَاسِنِ الأَعْمَال،)** بالصدق والنصح في الأعمال كلها **(وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَيَنْدُبُونَ)**

أي: يدعون(**إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ،**) من الأقارب ممن تجب صلتهم عليك والواصل هو الذي إذا قطعت رحمه، وصلها.لقوله صلى الله عليه وسلم " ليس الواصل بالمكافئ، إنما الواصل من إذا قطعت رحمه، وصلتها"

(**وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ،**) أي: من منعك، ولا تقل: منعني، فلا أعطيه. (**وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.**) أي: من أنتقصك حقك: إما بالعدوان، بالضرب وأخذ المال، وإما بعدم القيام بالواجب. فيجحدك ويمنعك حقك. وكمال الإنسان أن يعفو عن من ظلمه. عند القدرة على الانتقام

رجاء لمغفرة الله عز وجل ورحمته، فإن من عفا وأصلح، فأجره على الله.ولإصلاح الود بينه وبين أخيه المسلم .

أما من كان في العفو إساءة، أو كان سبباً للاساءة، فترك العفو هنا أفضل ،مثل أن يعفو عن مجرم، ويكون العفو سبباً لاستمرار المجرم في إجرامه، ، وربما يجب ترك العفو حينئذ.

قوله (وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ،)

وذلك لعظم حقهما، فلم يجعل الله لأحد حقاً يلي حقه وحق رسوله إلا للوالدين، فقال: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً)

والبر: إيصال الخير بقدر ما تستطيع، وكف الشر.

وهو فرض عين بالإجماع على كل واحد من الناس، ولهذا قدمه النبي صلي الله عليه وسلم على الجهاد في سبيل الله، كما في حديث ابن مسعود، قال: قلت: يا رسول الله! أي العمل أحب إلي الله ؟ قال: " الصلاة على وقتها " . قلت: ثم أي؟ قال: " بر الوالدين" . قلت: ثم أي؟ قال: " الجهاد في سبيل الله " متفق عليه

وطاعتهما واجبة فيما فيه نفع لهما ولا ضرر على الولد فيه، أما ما فيه ضرر عليه، سواء كان ضرراً دينياً، كأن يأمراه بترك واجب أو فعل محرم، فإنه لا طاعة لهما في ذلك، أو كان ضرراً بدنيا، فلا يجب عليه طاعتهما. أما المال، فيجب عليه أن يبرهما ببذله، ولو كثر إذا لم يكن عليه ضرر، و لم تتعلق به حاجته، والأب خاصة له أن يأخذ من مال ولده ما شاء، ما لم يضر.

قوله (وَصِلَةِ الأَرْحَامِ،) لأن في قطعها سبب للعنة والحرمان من دخول الجنة، قال الله تعالى { فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمي أبصارهم } وقال النبي عليه الصلاة والسلام: " لا يدخل الجنة قاطع" متفق عليه أي: قاطع رحم.

قوله(وَحُسْنِ الْجِوَارِ،) مع الجيران، والجيران هم الأقارب في المترل، أدناهم أولاهم بالإحسان والإكرام ، لقوله صلي الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره" متفق عليه

(وَالإِحْسانِ إِلَى الْيَتَامَى) برعاية أحوالهم وأموالهم والشفقة عليهم.واليتيم : من مات أبوه قبل بلوغه **(وَالْمَسَاكِينِ)** بالتصدق عليهم والرفق بهم **(وَابْنِ السَّبِيلِ)** وهو المسافر (**وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ .)** الآدمي والبهيم

(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ) بالقول وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب (**وَالْخُيَلاءِ،)** بالفعل وهو الكبر والعجب (**وَالْبَغْيِ)** العدوان (**وَالاسْتِطَالَةِ**) أي: الترفع والاستعلاء عليهم واحتقارهم والوقيعة فيهم **(عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ)** لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن استطال بغير حق فقد بغى، ولا يحل لا هذا ولا هذا

(وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ،) أي: ما كان عالياً منها، كالصدق والعفاف وأداء الأمانة ونحو ذلك.**(وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.)** أي: رديئها، كالكذب والخيانة والفواحش ونحو ذلك. والسفساف: الأمر الحقير والرديء من كل شيء

قوله (وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم .

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي)، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلاَمِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ .

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلاَمُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا

مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَالوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا..

قوله (وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،)

أي: كل ما يقوله وفعله أهل السنة ويأمرون به وينهون عنه مما تقدم ذكره في هذه الرسالة وما لم يذكر؛ فقد استفادوه من كتاب ربهم وسنة نبيهم، لم يبتدعوه من عند أنفسهم و لم يقلدوا فيه غيرهم. (**وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ أُمَّتُهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّار؛ إِلاَّ وَاحِدَةً،)** ولا يلزم من ذلك الخلود في النار، وإنما المعني أن عملها مما تستحق به دخول النار.**(وَهِيَ الْجَمَاعَةُ.)** أي الناجية هي التي اجتمعت على الحق و لم تتفرق فيه. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: **(هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي)**، و**(صَارَ)** أهل السنة والجماعة هم (**الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَفِيهِمُ**) أي في أهل السنة **(الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمُ أَعْلامُ الْهُدَى،**) الذين يستدل الناس بهم ويهتدون بهديهم، وهم العلماء الربانيون، فإنهم هم الهداة، **(وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ،)**جمع بدل ، وهم الذين تميزوا عن غيرهم بالعلم والعبادة، وسموا أبدلاً: إما لأنهم كلما مات منهم أحداً، خلفه بدله، أو أنهم كانوا يبدلون سيئاتهم حسنات، أو أنهم كانوا أسوة حسنة كانوا يبدلون أعمال الناس الخاطئة صائبة، أو لهذا كله وغيره.(**وَفِيهِمُ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ)** التي نصرها الله عز وجل، لأنهم داخلون في قوله تعالي: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } ،فهم منصورون، والعاقبة لهم (الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: **(لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لاَ يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)**

مسألة :قوله صلى عليه وسلم : " حتى تقوم الساعة ": أي حتى قرب قيام الساعة لقوله صلى الله عليه وسلم عند مسلم " ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة"

ولما ثبت عند مسلم أن الساعة " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله" أي: حتى يمحى الإسلام كله، ولا يبقي من يعبد الله أبداً

فالمراد حتى قرب قيام الساعة، والشيء قد يعبر به عما قرب منه إذا كان قريباً جداً، وكأن هؤلاء المنصورون إذا ماتوا ، فإن الساعة تكون قريبة جداً

والحمد لله رب العالمين على توفيقه ونعمه التي لا تحصى، ونسأل الله القبول والثواب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم أجمعين. تم بحمد الله في فجر يوم السبت الموافق ١٤٣٥/١/١٢ ه